كيف تقرأ القرآن وتحفظه ؟

على طريقة الإمام
محمد متولي الشعراوي

وملحق خاص عن تجويد القرآن

إعداد

شريف كمال عزب

الروضة
للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ ـــ ٢٠٠٤ م

رقم الإيداع بدار الكتب
١٣٤٣٥/ ٢٠٠٤
الترقيم الدولى
I.S.B.N
٩٧٧٥٤٨١-٦٤-٣

دار الروضة ـ للنشر والتوزيع

٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
٥٩١٣٤٢٤ ـ ٥٠٦٦٨٨٤ فاكس : ٥٩٢٧٣٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تدبُر القرآن .. لماذا وكيف؟

الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نستهديه ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سـيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، و من يضلل فلا هادي له. نحمده هو أهـل الحمد و الثناء ، فله الحمد في الأولى و الآخرة ، و له الحمد على كل حال و في كل آن ، نصلي و نسلم على خاتم الرسل و الأنبياء نبينا محمد بن عبد الله و على آله و صحابته و من اتبع هداه و اقتفى أثره إلى يوم الدين واعفُ عنا معه ، بعفوك و رحمتك ، يا أرحم الراحمين.

أمـا بعـد ، أيها الإخوة الكرام و الأحبة ، سلام الله عليكم و رحمته و بركاته ، ابـتداءً أقول : إنه ليس في هذا الكتاب وصفة سحرية يمكن بتطبيقها أن نحفظ القرآن بصـورة لم تكن نتخيلها أو نتوقعها ، و لكن هذا الدرس فيه خلاصة تجارب عملية ، وهـو في الحقـيقة يركز على مضمون هذا العنوان . أي : كيف نحفظ القرآن الكريم بصورة عامة لجميع الناس ، مع التفاوت الذي قد يكون يختلف فيه بعضهم عن بعض. نريد في هذا الكتاب أن نركز على الإجابة على هذا السؤال: **كيف نحفظ القرآن ؟**

❁ القـرآن هادي البشرية ومرشدها ونور الحياة ودستورها ، ما من شيء يحتاجه البشر إلا وبيَّنه الله فيه نصاً أو إشارة أو إيماءاً ، عَلِمه مَنْ عَلِمه ، وجهله من جهله.

ولذا اعتنى به صَحْبُ الرسول ﷺ وتابعوهم تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً. وعلى ذلـك سـار سائر السلف. ومع ضعف الأمة في عصورها المتأخرة تراجع الاهتمام بالقرآن

وانحسر حتى اقتصر الأمر عند غالب المسلمين على حفظه وتجويده وتلاوته فقط ، بلا تدبر ولا فهم لمعانيه ومراداته ، وترتب على ذلك ترك العمل به أو التقصير في ذلك ، " وقد أنزل الله القرآن وأمرنا بتدبره ، وتكفل لنا بحفظه ، فانشغلنا بحفظه وتركنا تدبره ".

وليس المقصود الدعوة لترك حفظه وتلاوته وتجويده ؛ ففي ذلك أجر كبير ؛ لكن المراد التوازن بين الحفظ والتلاوة والتجويد من جهة وبين الفهم والتدبر. ومن ثم العمل به من جهة أخرى ، كما كان عليه سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى .

ولذا فهذه بعض الإشارات الدالة على أهمية التدبر في ضوء الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح.

۞ أما التدبر ، فهو كما قال ابن القيم : " تحديق ناظر القلب إلى معانيه ، وجمع الفكر على تدبره وتعقله ". وقيل في معناه : " هو التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة".

أولاً : منزلة التدبر في القرآن الكريم :

١ - قال الله تعالى : ﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴿٢٩﴾** ﴾ [سورة ص : ٢٩] في هذه الآية بيّن الله تعالى أن الغرض الأساس من إنزال القرآن هو التدبر والتذكر ، لا مجرد التلاوة على عِظَم أجرها. قال الحسن البصري: "والله! ما تدبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأتُ القرآن كله، ما يُرى له القرآنُ في خُلُق ولا عمل ".

٢ - قال تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ** ﴾ [النساء : ٨٢] قال ابن كثير : " يقول الله تعالى آمراً عباده بتدبر القرآن ، وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة : أفلا يتدبرون القرآن" ، فهذا أمر صريح بالتدبر ، والأمر للوجوب.

٣- قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة : ١٢١]. روى ابن كثير عن ابن مسعود قال : " والذي نفسي بيده ! إن حق تلاوته أن يُحِل حلاله ، ويُحرّم حرامه ، ويقرأه كما أنزله الله ". وقال الشوكاني: "يتلونه: يعملون بما فيه" ولا يكون العمل به إلا بعد العلم والتدبر.

٤ - قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة : ٧٨]. قال الشوكاني : " وقيل : (الأماني: التلاوة) أي: لا علم لهم إلا مجرد التلاوة ، دون تفهم وتدبر" ، وقال ابن القيم : " ذمّ الله المحرّفين لكتابه والأميين الذين لا يعلمون منه إلا مجرد التلاوة وهي الأماني "

٥ - قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان : ٣٠]. قال ابن كثير : " وتَرْكُ تدبره وتفهمه من هجرانه " . وقال ابن القيم: " هجر القرآن أنواع... الرابع : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه " .

ثانياً : ما ورد في السنة في مسألة التدبر :

١ - عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده " . فالسكينة والرحمة والذكر مقابل التلاوة المقرونة بالدراسة والتدبر . أما واقعنا فهو تطبيق جزء من الحديث وهو التلاوة ، أما الدراسة والتدبر فهي- في نظر بعضنا - تؤخر الحفظ ، وتقلل من عدد الحروف المقروءة ، فلا داعي لها.

٢ - روى حذيفة ﷺ : " أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة ، فكان يقرأ مترسلاً ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبّح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ " . فهذا تطبيق نبوي عملي للتدبر ، ظهر أثره بالتسبيح والسؤال والتعوذ.

٣ – عن أبي ذر ﷺ قال : " صلى رسول الله ﷺ ليلة ، فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]. فهذا رسول الله ﷺ يقدم التدبر على كثرة التلاوة ، فيقرأ آية واحدة فقط في ليلة كاملة.

٤ – عن ابن مسعود قال : " كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن ". فهكذا كان منهج النبي ﷺ في تعليم الصحابة القرآن : تلازم العلم والمعنى والعمل ؛ فلا علم جديد إلا بعد فَهْم السابق والعمل به.

٥ – لما راجع عبد الله بن عمرو بن العاص النبي ﷺ في قراءة القرآن لم يأذن له في أقل من ثلاث ليالٍ ، وقال : " لا يفقه مَنْ قرأ القرآن في أقل من ثلاث " فدل على أن فقه القرآن وفهمه هو المقصود بتلاوته ، لا مجرد التلاوة.

٦ – وفي الموطأ عن أنس بن مالك ﷺ "أن النبي ﷺ صلى بالناس صلاة ، يُجهر فيها ، فأسقط آية ، فقال: يا فلان! هل أسقطتُ في هذه السورة من شيء ؟ قال : لا أدري . ثم سأل آخر واثنين وثلاثة ، كلهم يقول: لا أدري ، حتى قال : ما بال أقوام يُتلى عليهم كتاب الله ، فما يدرون ما تُلي منه مما ترك ؟ هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل ، فشهدت أبدانهم وغابت قلوبهم ؛ ولا يقبل الله من عبد حتى يشهد بقلبه مع بدنه ".

ثالثاً : ما ورد عن السلف في مسألة التدبر :

١ – روى مالك عن نافع عن ابن عمر ﷺ قال : " تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة ، فلما ختمها نحر جزوراً ". وطول المدة ليس عجزاً من عمر ، ولا انشغالاً عن القرآن ؛ فما بقي إلا أنه التدبر.

٢ - عـن ابن عباس رضي الله عنه قال : " قدم على عمر رجل ، فجعل عمر يسأل عن الناس، فقال: يـا أمـير المؤمنين! قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا ، فقلت : والله ما أحب أن يسارعوا يومهـم هذا في القرآن هذه المسارعة. قال : فزبرني عمر ، ثم قال : مه! فانطلقت لمترلي حزيـناً فجـاءني ، فقال : ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفاً ؟ قلت : متى ما يسارعوا هـذه المسارعة يحتقوا — يختصموا : كلٌ يقول: الحق عندي - ومتى يحتقوا يختصموا ، ومـتى اختصـموا يخـتلفوا ، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا ، فقال عمر : لله أبوك! لقد كنت أكـتمها الـناس حـتى جئت بها ". وقد وقع ما خشي منه عمر وابن عباس - رضي الله عنهم - فخرجت الخوارج الذين يقرؤون القرآن ؛ لكنه لا يجاوز تراقيهم.

٣ - عن ابن عمر رضي الله عنه قال : " كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمـة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها ، ورُزِقوا العمل بالقرآن ، وإن آخر هـذه الأمة يقرؤون القرآن ، منهم الصبي والأعمى ، ولا يُرْزقون العمل به ". وفي هـذا المعنى قال ابن مسعود : " إنّا صَعُب علينا حفظ ألفاظ القرآن ، وسَهُل علينا العمل به ، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به "

٤ - قال الحسن البصري : " إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان ، لا علم لهم بتأويله ، ومـا تدبُّـر آياته إلا باتباعه ، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : لقد قرأتُ القرآن فما أسقطتُ منه حرفاً . وقد والله! أسقطه كله ما يُرى القرآن له في خلق ولا عمل ، حتى إن أحدهم ليقول : إني لأقرأ السورة في نَفَـسٍ! والله! مـا هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الوَرَعة ، متى كانت القراء مثل هذا ؟ لا كثَّر الله في الناس أمثالهم " .

٥ - وقال الحسن أيضاً : "نزل القرآن لِيُتَدَبَّر ويُعْمل به ؛ فاتخذوا تلاوته عملاً. أي أن عمل الناس أصبح تلاوة القرآن فقط ، بلا تدبر ولا عمل به ".

٦ - كان شعبة بن الحجاج بن الورد يقول لأصحاب الحديث : " يا قوم ! إنكم كلما

تقدمـــتم في الحديـــث تأخرتم في القرآن ". وفي هذا تنبيه لمن شغلته دراسة أسانيد الحديث ومسائل الفقه عن القرآن وتدبره ، أنه قد فقد توازنه واختل ميزانه.

٧ - عـــن محمـــد بن كعب القرظي أنه قال : " لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ب (إذا زلزلـــت) و (القارعة) لا أزيد عليهما أحب إليَّ من أن أهذَّ القرآن ليلتي هذّاً. أو قال: أنثره نثراً " .

٨ - قـــال ابن القيم : " ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده من تدبر القرآن وجمع الفكـــر على معاني آياته ؛ فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها وعلى طـــرقاتهما وأســـبابهما وثمراتهما ومآل أهلهما ، وتتل في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلـــوم النافعة ، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه ، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والـــنار في قلبه ، وتحضره بين الأمم ، وتريه أيام الله فيهم ، وتبصره مواقع العبر ، وتشـــهده عـــدل الله وفضله ، وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله ، وما يحبه وما يبغضـــه ، وصـــراطه الموصل إليه وقواطيع الطريق وآفاته ، وتعرفه النفس وصفاتها ومفســـدات الأعمال ومصححاتها ، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم ، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة ".

فتشـــهده الآخرة حتى كأنه فيها ، وتغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها ، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما يختلف فيه العالم ، وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرق به بين الهدى والضلال ، وتعطيه قوة في قلبه وحياة واسعة وانشراحاً وبهجة وسروراً ، فيصير في شأن والـــناس في شأن آخر ؛ فلا تزال معانيه تُنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل ، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل ، وتهديه في ظُلَم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل ، وتصـــده عـــن اقتحام طرق البدع والأضاليل ، وتبصره بحدود الحلال والحرام وتوقفه عليها ؛ لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل ، وتناديه كلما فترت عزماته : تقدمَ الركبُ ، وفاتك الدليل فاللحاقَ اللحاقَ ، والرحيلَ الرحيلَ . فاعتصم بالله واستعن به ، وقل

: " حسبي الله ونعم الوكيل ".

وحتى نتدبر القرآن فعلينا :

١- مراعاة آداب التلاوة من : طهارة ومكان وزمان مناسبين ، وحال مناسبة وإخلاص واستعاذة وبسملة ، وتفريغ للنفس من شواغلها ، وحصر الفكر مع القرآن والخشوع والتأثر ، والشعور بأن القرآن يخاطبه.

٢- التلاوة بتأنٍ وتدبر وانفعال وخشوع ، وألا يكون همه نهاية السورة.

٣- الوقوف أمام الآية التي يقرؤها وقفة متأنية فاحصة مكررة.

٤- النظرة التفصيلية في الآية : تركيبها - معناها - نزولها - غريبها - دلالاتها.

٥- ملاحظة البعد الواقعي للآية ؛ بحيث يجعل من الآية منطلقاً لعلاج حياته وواقعه ، وميزاناً لمن حوله وما يحيط به.

٦- العودة إلى فهم السلف للآية ، وتدبرهم لها وتعاملهم معها.

٧- الاطلاع على آراء بعض المفسرين في الآية.

٨- النظرة الكلية الشاملة للقرآن.

٩- الالتفات للأهداف الأساسية للقرآن.

١٠- الثقة المطلقة بالنص القرآني ، وإخضاع الواقع المخالف له.

١١- معايشة إيحاءات النص وظلاله ولطائفه.

١٢- الاستعانة بالمعارف والثقافات الحديثة.

١٣- العودة المتجددة للآيات ، وعدم الاقتصار على التدبر مرة واحدة ؛ فالمعاني تتجدد.

١٤- ملاحظة الشخصية المستقلة للسورة.

١٥- التمكن من أساسيات علوم التفسير.

١٦- القــراءة في الكتــب المتخصصة في هذا الموضوع مثل كتاب: (القواعد الحسان لتفســير القــرآن) للسعدي ، وكتاب (مفاتيح للتعامل مع القرآن) للخالدي ، وكــتاب (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله - ﷻ) لعبد الرحمن حبنكة الميداني ، وكتاب (دراسات قرآنية) لمحمد قطب .

وبعــد : فما درجة أهمية تدبر القرآن في عقولنا ؟ وما نسبة التدبر في واقعنا العملي فيما نقرأه في المسجد قبل الصلوات ؟ وهل نحن نربي أبناءنا وطلابنا على التدبر في حلَق القرآن ؟ أم أن الأهم الحفظ وكفى ، بلا تدبر ولا فهم ؛ لأن التدبر يؤخر الحفظ ؟

ما مقدار التدبر في دروس العلوم الشرعية في المدارس ، خاصة دروس التفسير ؟ وهل يــربي المعــلم طلابه على التدبر ، أم على حفظ معاني الكلمات فقط ؟ تُرى : ما مرتبة دروس التفسير في حلَق العلم في المساجد : هل هي في رأس القائمة ، أم في آخرها - هذا إن وُجــدت أصــلاً ؟ ما مدى اهتمامنا بالقراءة في كتب التفسير من بين ما نقرأ ؟ لماذا يكــون همُّ أحدنا آخر السورة ، وقد نهانا رسولنا عن ذلك ؟ ومتى نقتنع أن فوائد التدبر وأجره أعظم من التلاوة كهَذِّ الشعر ؟ أسئلة تبحث عن إجابة ؛ فهل نجدها لديك ؟

أنصح من يقرأ القرآن الكريم للتعبد .. ألاّ يشغلَ نفسه بالتفكير فــي المعــنى . أما الذي يقرأ القرآن ليستنبط منه فليقف عند اللفظ والمعنى .. فإذا قرأت القرآن لتتعبد فاقرأه بسر الله فيه .. ولو جلست تبحث عن المعنى .. تكون قد حددتَ معنى القرآن الكــريم بمعلوماتك أنت. وتكون قد أخذت المعنى ناقصاً نقصَ فكر البشر .. ولكن اقرأ القرآن بِسِرّ الله فيه.

الشيخ / محمد متولى الشعراوى

طريقة الإمام نقصد بها

أن تقرأ خواطر الشيخ أو تفسيره فيسهل لك الحفظ نظراً لما قد جمعتْ من وجهة عامة ، وعلى سبيل المثال أقدم لك خواطر الشيخ حول سور : البقرة والإسراء ، ومريم ، والكهف مثلاً ، وجرب الحفظ بعد ذلك في نفس السور :

خواطر في سورة البقرة

(الٓمٓ ۝) بدأت سورة البقرة بقوله تعالى (الٓمٓ) وهذه الحروف مقطعة ، ومعنى مقطعة أن كل حرف يُنطق بمفرده . لأن الحروف لها أسماء ولها مسميات .. فالناس حين يتكلمون ينطقون بمسمى الحرف ، وليس باسمه .. فعندما تقول كتب تنطق بمسميات الحروف. فإذا أردت أن تنطق بأسمائها. تقول : كاف وتاء وباء .. ولا يمكن أن ينطق بأسماء الحروف إلا من تعلم ودرس ، أما ذلك الذي لم يتعلم فقد ينطق بمسميات الحروف ، ولكنه لا ينطق بأسمائها ، ولعل هذه أول ما يلفتنا.

فرسول الله ﷺ كان أمياً ، لا يقرأ ولا يكتب ، ولذلك لم يكن يعرف شيئاً عن أسماء الحروف . فإذا جاء ونطق بأسماء الحروف يكون هذا إعجازاً من الله ﷻ بأن هذا القرآن موحى به إلى محمد ﷺ . ولو أن رسول الله ﷺ درس وتعلم لكان شيئاً عادياً أن ينطق بأسماء الحروف. ولكن تعالَ إلى أي أمي لم يتعلم .. إنه يستطيع أن ينطق بمسميات الحروف . يقول : الكتاب وكوب وغير ذلك .. فإذا طلبتَ منه أن ينطق بمسميات الحروف فإنه لا يستطيع أن يقول لك . أن كلمة كتاب مكونة من : الكاف والتاء والألف والباء . وتكون هذه الحروف دالة على صدق النبى ﷺ في البلاغ عن ربه ، وأن هذا القرآن مُوحَى به من الله سبحانه .

ونجد في فواتح السور التي تبدأ بأسماء الحروف . أن الحروف تنطق بأسمائها فى آية، وتجد نفس الكلمة في آية أخرى تنطق بمسمياتها. ف (الٓمٓ) في أول سورة البقرة تنطقها بأسماء الحروف : ألف لام ميم . بينما تنطقها بمسميات الحروف في سورة

الشرح في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [سورة الشرح]. وفي سورة الفيل ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [سورة الفيل] .

ما الذي جعل رسول الله ﷺ .. ينطق (**الم**) في سورة البقرة بأسماء الحروف .. وينطقها في سورتي الشرح والفيل بمسميات الحروف . لابد أن رسول الله سمعها من الله كما نقلها جبريل عليه السلام إليه هكذا . إذن : فالقرآن أصله السماع ، لا يجوز أن تقرأه إلا بعد أن تسمعه . لتعرف أن هذه تُقرأ : ألف لام ميم .والثانية تُقرأ ألم .. مع أن الكتابة واحدة في الاثنين .

ولذلك لابد أن تستمع إلى قارىء فقيه .. ثم بعد ذلك يريدون أن يقرأوا القرآن كأي كتاب . نقول لا .. القرآن له تميز خاص .. إنه ليس كأي كتاب تقرؤه .. لأنه مرة يأتي باسم الحرف. ومرة يأتي بمسمى الحرف . وأنت لا يمكن أن تعرف هذا إلا إذا استمعتَ لقارئ يقرأ القرآن . والقرآن مبني على الوصل دائماً وليس على الوقف ، فإذا قرأتَ في آخر سورة يونس مثلاً : ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يونس] لا تجد النون عليها سكون ، بل تجد عليها فتحة ، موصولة بقول الله ﷻ : بسم الله الرحمن الرحيم. ولو كانت غير موصولة لوجدتَ عليها سكوناً .

إذن : فكل آيات القرآن الكريم مبنية على الوصل .. ما عدا فواتح السور المكونة من حروف ، فهي مبنية على الوقف .. فلا تقرأ في أول سورة البقرة : ﴿ **الم** ﴾ والميم عليها ضمة. بل تقرأ ألفاً عليها سكون ، ولاماً عليها سكون ، وميماً عليها سكون . إذن : كل حرف منفرد بوقف. مع أن الوقف لا يوجد في ختام السور ولا في القرآن الكريم كله.

وهناك سور في القرآن الكريم بدأت بحرف واحد ، مثل قوله تعالى : ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [سورة ص] . ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [سورة القلم] ونلاحظ أن الحرف ليس آية مستقلة. بينما (**الم**) في سورة البقرة آية مستقلة.

و"حـــم". و "عســـق" آية مستقلة مع أنها حروف مقطعة. وهناك سور تبدأ بآية من خمســـة حروف ، مثل : "كهيعص" في سورة مريم .. وهناك سور تبدأ بأربعة حروف. مثل "المص" في سورة "الأعراف".

وهـــناك سور تبدأ بأربعة حروف ، وهي ليست آية مستقلة مثل : "ألمر" في سورة "الرعد" متصلة بما بعدها .. بينما تجد سورة تبدأ بحرفين هما آية مستقلة ، مثل : "يس" في ســـورة يس . و"حم" في سورتى غافر وفصلت . و "طس" في سورة النمل. وكلها ليســـت موصولة بالآية التي بعدها .. وهذا يدلنا على أن الحروف في فواتح السور لا تسير على قاعدة محددة.

"ألم" مكونـــة مـــن ثلاثة حروف تجدها في ست سور مستقلة .. فهي آية في : البقرة ، وآل عمران ، والعنكبوت والروم ، والسجدة ، ولقمان. و"الر" ثلاثة حروف ، ولكنها ليست آية مستقلة. بل جزء من الآية في أربع سور ، هي : يونس ، ويوسف ، وهـــود ، وإبراهـــيم . و: "المـــص" من أربعة حروف ، وهي آية مستقلة في سورة "الأعراف" . و "المر" أربعة حروف ، ولكنها ليست آية مستقلة في سورة الرعد .

إذن : فالمسألة ليست قانوناً يُعمم ، ولكنها خصوصية في كل حرف من الحروف. وإذا ســـألت : ما هو معنى هذه الحروف؟.. نقول : إن السؤال في أصله خطأ .. لأن الحـــرف لا يُســـأل عن معناه في اللغة ، إلا إنْ كان حرفَ معنى .. والحروف نوعان: حـــرف مبنى ، وحرف معنى. حرف المبنى لا معنى له إلا للدلالة على الصوت فقط .. أما حروف المعاني فهي مثل : في. ومن .. وعلى .. (في) تدل على الظرفية .و(من) تـــدل على الابتداء .. و(إلى) تدل على الانتهاء .. و(على) تدل على الاستعلاء .. هذه كلها حروف معنى.

وإذا كانـــت الحـــروف في أوائـــل السور في القرآن الكريم قد خرجت عن قاعدة الوصل ، لأنها مبنية على السكون ، فلابد أن يكون لذلك حكمة .. أولا لنعرف قول

رسول الله ﷺ : " من قرأ حرفاً من كتاب الله ، فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف ".

ولذلك ذُكرت في القرآن كحروف استقلالية ، لنعرف ونحن نتعبد بتلاوة القرآن الكريم أننا نأخذ حسنة على كل حرف . فإذا قرأنا بسم الله الرحمن الرحيم. يكون لنا بالباء حسنة ، وبالسين حسنة ، وبالميم حسنة ، فيكون لنا ثلاث حسنات بكلمة واحدة من القرآن الكريم . والحسنة بعشر أمثالها.

وحينما نقرأ "ألم" ونحن لا نفهم معناها نعرف أن ثواب القرآن على كل حرف نقرؤه ، سواء فهمناه أم لم نفهمه .. وقد يضع الله ﷻ من أسراره في هذه الحروف التي لا نفهمها ثواباً وأجراً لا نعرفه. ويريدنا بقراءتها أن نحصل على هذا الأجر.

والقرآن الكريم ليس إعجازاً في البلاغة فقط ، ولكنه يحوي إعجازاً في كل ما يمكن للعقل البشري أن يحوم حوله ، فكل مفكر متدبر في كلام الله يجد إعجازاً في القرآن الكريم. فالذي درس البلاغة رأى الإعجاز البلاغي ، والذي تعلم الطب وجد إعجازاً طبياً في القرآن الكريم. وعالم النباتات رأى إعجازاً في آيات القرآن الكريم ، وكذلك عالم الفلك.

وإذا أراد إنسان منا أن يعرف معنى هذه الحروف ، فلا نأخذها على قدر بشريتنا .. ولكن نأخذها على قدر مراد الله فيها .. وقدراتنا تتفاوت ، وأفهامنا قاصرة . فكل منا يملك مفتاحاً من مفاتيح الفهم ، كل على قدر علمه .. هذا مفتاح بسيط يفتح مرة واحدة ، وآخر يدور مرتين .. وآخر يدور ثلاث مرات وهكذا .. ولكن مَن عنده العلم يملك كل المفاتيح ، أو يملك المفتاح الذي يفتح كل الأبواب .

ونحن لا يجب أن نُجهد أذهاننا لفهم هذه الحروف ، فحياة البشر تقتضي منا في بعض الأحيان أن نضع كلمات لا معنى لها بالنسبة لغيرنا .. وإن كانت تمثل أشياء ضرورية بالنسبة لنا ، تماماً ككلمة السر التي تستخدمها الجيوش فإنها لا معنى لها إذا سمعتها. ولكن بالنسبة لمن وضعها يكون ثمنها الحياة أو الموت .. فخذ كلمات الله التي

تفهمها بمعانيها .. وخذ الحروف التي لا تفهمها بمرادات الله فيها. فالله ﷻ شاء أن يُبقى معناها في الغيب عنده.

والقرآن الكريم لا يُؤخذ على نسق واحد حتى نتنبه ونحن نتلوه أو نكتبه. لذلك تجد مثلاً ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ مكتوبة بدون ألف بين الباء والسين. ومرة تجدها مكتوبة بالألف في قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ ﴾[سورة العلق] . وكلمة (تبارك) مرة تُكتب بالألف ، ومرة بغير الألف .. ولو أن المسألة رتابة في كتابة القرآن لجاءت كلها على نظام واحد. ولكنها جاءت بهذه الطريقة لتكون كتابة القرآن معجزة وألفاظه معجزة.

ونحن نقول للذين يتساءلون عن الحكمة في بداية بعض السور بحروف : إن لذلك حكمة عند الله ، فهمناها أو لم نفهمها .. والقرآن نزل على أمة عربية ، فيها : المؤمن والكافر .. ومع ذلك لم نسمع أحداً يطعن في الأحرف التي بدأت بها السور . وهذا دليل على أنهم فهموها بملكاتهم العربية .. ولو أنهم لم يفهموها لطعنوا فيها .

وأنا أنصح من يقرأ القرآن الكريم للتعبد .. ألا يشغلَ نفسه بالتفكير في المعنى أما الذي يقرأ القرآن ليستنبط منه فليقف عند اللفظ والمعنى .. فإذا قرأتَ القرآن لتتعبد فاقرأه بِسرّ الله فيه .. ولو جلست تبحث عن المعنى .. تكون قد حددتَ معنى القرآن الكريم بمعلوماتك أنت . وتكون قد أخذت المعنى ناقصاً نقصَ فكر البشر .. ولكن اقرأ القرآن بسر الله فيه.

إننا لو بحثنا معنى كل لفظ في القرآن الكريم ، فقد أخرجنا الأمي وكل من لم يدرس اللغة العربية دراسة متعمقة من قراءة القرآن. ولكنك تجد أمياً لم يقرأ كلمة واحدة ، ومع ذلك يحفظ القرآن كله . فإذا قلت : كيف ؟ نقول لك : بسر الله فيه . والكلام وسيلة إفهام وفهم بين المتكلم والسامع . المتكلم هو الذي بيده البداية ، والسامع يفاجأ بالكلام لأنه لا يعلم مقدماً ماذا سيقول المتكلم .

وقــد يكــون ذهن السامع مشغولاً بشيء آخر ، فلا يستوعب أول الكلمات ، ولذلك قد تنبهه بحروف أو بأصوات لا مهمة لها إلا التنبيه للكلام الذي سيأتي بعدها . وإذا كنا لا نفهم هذه الحروف ، فوسائل الفهم والإعجاز في القرآن الكريم لا تنتهي ، لأن القــرآن كــلام الله. والكلام صفة من صفات المتكلم .. ولذلك لا يستطيع فَهْم بشــري أن يصل إلى منتهى معاني القرآن الكريم ، إنما يقرب منها ، لأن كلام الله صفة مــن صفاته .. وصفة فيها كمال بلا نهاية. فإذا قلت إنك قد عرفت كل معنى للقرآن الكــريم .. فــإنك تكــون قد حددتَ معنى كلام الله بعلمك .. ولذلك جاءت هذه الحروف إعجازاً لك ، حتى تعرف أنك لا تستطيع أن تحدد معاني القرآن بعلمك.

إن عــدم فهــم الإنســان لأشياء لا يمنع انتفاعه بها .. فالريفي مثلاً ينتفع بالكهرباء والتليفزيون وما يُذاع بالقمر الصناعي ، وهو لا يعرف عن أي منها شيئاً . فلماذا لا يكون الله تــبارك وتعالى قد أعطانا هذه الحروف ، لنأخذ فائدتها ونستفيد من أسرارها ، ويتترل الله بهــا علينــا بما أودع فيها من فضل ، سواء أفهم العبد المؤمن معنى هذه الحروف أو لم يفهمها. وعطاء الله ﷻ وحكمته فوق قدرة فهم البشر .. ولو أراد الإنسان أن يحوم بفكره وخواطره حول معاني هذه الحروف لوجد فيها كل يوم شيئاً جديداً .

لقــد خاض العلماء في البحث عن معاني حروف القرآن كثيراً ، وكل عالم أخذ منها على قدر صفائه ، ولا يدعى أحد العلماء أن ذلك هو الحق المراد من هذه الحروف بــل كل منهم يقول والله أعلم بمراده . ولذلك نجد عالماً يقول : (ألر) و (حم) و (ن) ، وهــي حروف من فواتح السور تُكَوّن اسم الرحمن . نقول : إن هذا لا يمكن أن يمــثل فهمــاً عامــاً لحروف بداية بعض سور القرآن .. ولكن ما الذي يتعبكم أو يرهقكم في محاولة إيجاد معان لهذه الحروف ؟!

لو أن الله ﷻ الذي أنزل القرآن يريد أن يفهمنا معانيها .. لأوردها بمعنى مباشر أو أوضح لنا المعنى. فمثلاً أحد العلماء يقول : إن معنى (ألم) هو : أنا الله أسمع وأرى ..

نقـــول لهذا العالم : لو أن الله أراد ذلك ، فما المانع من أن يورده بشكل مباشر لنفهمه جميعاً .. لابد أن يكون هناك سر في هذه الحروف .. وهذا السر هو من أسرار الله التي يريدنا أن ننتفع بقراءتها دون أن نفهمها.

ولابـــد أن نعـــرف أنه كما أن للبصر حدوداً ، وللأذن حدوداً ، وللمس والشم والتذوق حدوداً ، فكذلك عقل الإنسان له حدود يتسع لها في المعرفة .. وحدود فوق قدرات العقل لا يصل إليها. والإنسان حينما يقرأ القرآن والحروفَ الموجودة في أوائل بعض السور يقول : إن هذا أمر خارج عن قدرته العقلية .. وليس ذلك حَجْراً أو سداً لـــباب الاجـــتهاد ، لأننا إن لم ندرك فإن علينا أن نعترف بحدود قدراتنا أمام قدرات خالقنا ﷻ التي هي بلا حدود .

وفي الإيمان ، هناك ما يمكن فهمه وما لا يمكن فهمه .. فتحريم أكل لحم الخنزير أو شـــرب الخمر لا ننتظر حتى نعرف حكمته لنمتنع عنه ، ولكننا نمتنع عنه بإيمان ، أنه ما دام الله قـــد حـــرمه فقد أصبح حراماً . ولذلك يقول رسول الله ﷺ : " ما عرفتم من محكمه فاعملوا به ، وما لم تدركوا فآمنوا به " .

والله ﷻ يقول : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران]

إذن : فعدم فَهْمنا للمتشابه لا يمنع أن نستفيد من سر وضعه الله في كتابه .. ونحن نستفيد من أسرار الله في كتابه ، فهمناها أم لم نفهمها.

خواطر في سورة الإسراء

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء]

لـــو تأملـــنا خواتيم سورة النحل لوجدناها مقدمة طبيعية لأحداث سورة الإسراء ولوجدنـــا توافقـــاً وتناسباً في ترتيب هاتين السورتين ، فقد خُتِمَت سورة النحل ببيان حكم رد العقوبة بمثلها ، ثم أمرت رسول الله بالصبر وبينت جزاء الصابرين ، ونهتْ رســـول الله عن الضيق من مكر الكفار. نستشف من هذا أن رسول الله سيستقبل أحداثاً تحتاج إلى صبر وشدائد ، تحتاج إلى سعة صدر.

وكـــأن هذه التوجيهات جاءت بمثابة مناعات إيمانية ، تحصن رسول الله وتُعده لما هـــو مقبل عليه من أحداث في سورة الإسراء ، وكأنها إشارات لما سيحدث من شدائد حـــتى لا يُفاجأ رسول الله بها ، ولا تأتيه على غِرّة . هذه المناعات التي جاءت في نهاية سورة النحل أشبه بما نلجأ إليه في حفظ سلامة البنية وسلامة القالب ، حينما نخاف من الأمـــراض ، إنه ما نسميه بالتطعيم ضد المرض ، فيأخذ الجسم من هذا الطُّعْم حصانة تحميه إذا هاجمه المرض .

كذلك الحق ﷻ يعطي رسوله هذه التحصينات ، حتى يواجه الأحداث والشدائد القادمـــة بصبر وجلد ، ويعلم أن الله تعالى لن يخذله ، ولن يتخلى عنه ، فما أرسل الله رســـولاً وخذله أبداً ، فإن خذله الناس ، وضاقت عليه الدنيا بما رحبت وجد الملجأ في معيـــته ﷻ . وفعلاً نزلت الشدائد برسول الله ، وكانت قمة هذه الأحداث عند فَقْد عمه أبي طالب ، وزوجه خديجة في عام واحد ، ولقسوة هذا عليه سماه "عام الحزن".

فقد ﷺ بموت عمه الحماية الخارجية التي كانت تدفع عنه أذى المشركين ، وتصد عنه صناديد قريش ، وفقد بموت زوجته الحماية الداخلية والملجأ الذي كان يأوي إليه ، حيـــث كانت تواسيه وتهدئ من روعه في أول نزول الوحي عليه. وتُبين له بفقه أن ما يجده في الغار هو من علامات النبوة ، وأن الله لن يتخلى عنه ، فتقول له : " والله إنك لتصل الرحم ، وتغيث الملهوف ، وتحمل الكَلّ ، وتعين على نوائب الدهر ".

نعـــم لقـــد كان عام حزن فعلاً ، فقد فيه السكن الخارجي والداخلي معاً ، فأين

يذهـب . فمـا عـاد يشعر بأمن في مكة ، ففكر في أهل الطائف ، عساه يجد الأمن والأمـان بينهم ، ولكنه كان كالمستجير من الرمضاء بالنار ، فقد آذوه أشد الإيذاء ، وقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدمه الشريفة ، وأغروا به صبيانهم وسفهاءهم ، وعاد منها حزيناً منكسراً إلى مكة مرة أخرى ، فلم يجد من يجيره إلا مطعم بن عدي.

ومن هنا نعلم أن نهايات سورة النحل جاءت في موقعها المناسب ، وكأن الحق سبحانه يقول لنبيه : لقد ضاقت عليك الأرض بما رحبت ، وضاقت عليك نفسك ، ولكن ملجأك إلى الله سيُريك أن قسوة الأرض وتجهُّم الحياة لك سأبدلك به تحية مباركة ، في أن أُريك حفاوة السماء بك ، **فبعد ما حدث لك في مكة والطائف :** ﴿ **وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾** ﴾ [النحل]

وجـاء حـادث الإسراء والمعراج ليرى رسول الله ﷺ حفاوة الملأ الأعلى بعد ما أصابه من أذى البشر ، وقبل أن يرى رسول الله حفاوة السماء غَيّر الله له نظام الكون .

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء]

استهل الحق سبحانه هذه السورة بقوله (سبحان) ؛ لأنها تتحدث عن حدث عظيم خارق للعادة ، ومعنى سبحانه: أي تتريهاً لله تعالى تتريهاً مطلقاً ، عن أن يكون له شبه أو مثـيل فـيما خلـق ، لا في الذات ، فلا ذات كذاته ، ولا في الصفات فلا صفات كصفاته ، ولا في الأفعال ، فليس في أفعال خَلْقه ما يشبه أفعاله تعالى. فإن قيل لك: الله موجـود وأنت موجود ، فتره الله عن أن يكون وجوده كوجودك ؛ لأن وجودك من عدم ، وليس ذاتياً فيك ، ووجوده سبحانه ليس من عدم ، وهو ذاتي فيه سبحانه. فذاته سـبحانه لا مثيل لها ، ولا شبيه في ذوات خلقه. وكذلك إن قيل : لك سمع ولله سمع. فـتره الله أن يشابه سمعه سمعك، وإن قيل : لك فعِل ، ولله فعل ، فتره الله عن أن يكون فعله كفعلك.

ومن معاني (سبحان) أي : أتعجب من قدرة الله. إذن : كلمة (سبحان) جاءت هـــنا لتشير إلى أن ما بعدها أمر خارج عن نطاق قدرات البشر ، فإذا ما سمعته إياك أن تعـــترض أو تقول: كيف يحدث هذا ؟ بل نزه الله أن يشابه فعله فعلَ البشر ، فإن قال لك : إنه أسرى بنبيه محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس في ليلة، مع أنهم يضربون إليها أكباد الإبل شهراً ، فإياك أن تنكر. فربك لم يقل: سرى محمد ، بل أسرى به. فالفعل لـــيس لمحمد ولكنه لله ، وما دام الفعل لله فلا تُخضعه لمقاييس الزمن لديك ، ففعل الله ليس علاجاً ومزاولة كفعل البشر.

ولـــو تأملنا كلمة (سبحان) نجدها في الأشياء التي ضاقت فيها العقول ، وتحيرت في إدراكها ، وفي الأشياء العجيبة ، مثل قوله تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يـــس] فالأزواج أي: الزوجين الذكـــر والأنـــثى ، ومنهما يتم التكاثر في النبات ، وفي الإنسان . وقد فسر لنا العلم الحديث قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ بما توصل إليه من اكتشاف الذرة والكهرباء ، وأن فيهما السالب والموجب الذي يساوي الذكر والأنثى ؛ لذلك قال تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة الذاريات]

ومـــنها قوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الـــروم] ، فمن يطالع صفحة الكون عند شروق الشمس وعند غروبها ، ويرى كيف يحـــل الظلام محل الضياء ، أو الضياء محل الظلام ، لا يملك أمام هذه الآية إلا أن يقول: سبحان الله.

ومـــنها قوـــله تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الزخرف] ، هذه كلها أمور عجيبة ، لا يقدر عليها إلا الله ، وردت فيها كلمة (سبحان) في خلال السور وفي طيات الآيات.

و(ســـبحان) اســـم يدل على الثبوت والدوام ، فكأن تتريه الله موجود وثابت له

سبحانه قبل أن يوجد المنزّه ، كما نقول في الخلق ، فالله خالق ومتصف بهذه الصفة قبل أن يخلـــق شيئاً. وكما تقول : فلان شاعر ، فهو شاعر قبل أن يقول القصيدة ، فلو لم يكن شاعراً ما قالها.

إذن : تتريـــه الله ثابـــت له قبل أن يوجد من ينزهه سبحانه ، فإذا وُجِد المنزه تحول الأســلوب مـــن الاسم إلى الفعل ، فقال سبحانه : ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾ [ســورة الحشر] ، وهل سبّح وسكت وانتهى التسبيح ؟ لا ، بل : ﴿ **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾ [سورة الجمعة] على سبيل الدوام والاستمرار ، وما دام الأمـــر كذلـــك والتسبيح ثابت له ، وتسبح له الكائنات في الماضي والحاضر ، فلا تتقاعس أنت أيها المكلف عن تسبيح ربك ، يقول ﷻ : ﴿ **سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝** ﴾ [سورة الأعلى]

وقوـــله : (أســـرى) من السرى ، وهو السير ليلاً ، وفي الحكم : (عند الصباح يحمد القوم السرى). فالحق سبحانه أسرى بعبده ، فالفعل لله تعالى ، وليس لمحمد ، فـــلا تقس الفعل بمقياس البشر ، ونزه فعل الله عن فعلك ، وقد استقبل أهل مكة هذا الحـــدث استقبال المكذب. فقالوا : كيف هذا ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً ، وهم كاذبون في قولهم ؛ لأن رسول الله لم يَدّعِ أنه سرى بل قال : أُسرى بي.

ومعلوم أن قطع المسافات يأخذ من الزمن على قدر عكس القوة المتمثلة في السرعة . أي : أن الـــزمن يتناســـب عكسياً مع القوة ، فلو أردنا مثلاً الذهاب إلى الإسكندرية فسيختلف الـــزمن لو سرنا على الأقدام ، عنه إذا ركبنا سيارة أو طائرة فكلما زادت القوة قلّ الزمن ، فما بالك لو نُسب الفعل والسرعة إلى الله تعالى ، إذا كان الفعل من الله فلا زمن .

فـــإن قال قائل : ما دام الفعل مع الله لا يحتاج إلى زمن ، لماذا لم يأت الإسراء لمحة فحســـب ، ولماذا استغرق ليلة ؟ نقول : لأن هناك فرقاً بين قطع المسافات بقانون الله ســـبحانه وبـــين مَـــرَاء عُرضت على النبي في الطريق ، فرأى مواقف ، وتكلم مع

أشـــخاص ، ورأى آيات وعجائب ، هذه هي التي استغرقت الزمن . وقلنا : إنك حين تنسب الفعل إلى فاعله يجب أن تعطيه من الزمن على قدر قوة الفاعل .

هب أن قائلاً قال لك : أنا صعدت بابني الرضيع قمة جبل " إفرست " ، هل تقول لـــه : كيف صعد ابنك الرضيع قمة "إفرست" ؟ هذا سؤال إذن في غير محله، وكذلك في مسألة الإسراء والمعراج يقول تعالى : أنا أسريت بعبدي ، فَمَن أراد أن يحيل المسألة ويـــنكرها ، فليعـــترض على الله صاحب الفعل لا على محمد. لكن كيف فاتت هذه القضـــية عـــلى كفار مكة ؟ ومن تكذيب كفار مكة لرسول الله ﷺ في رحلة الإسراء والمعـــراج نـــأخذ رداً جميلاً على هؤلاء الذين يخوضون في هذا الحادث بعقول ضيقة ، وبإيمانـــية ســـطحية في عصـــرنا الحاضر ، فيطالعونا بأفكار سقيمة ما أنزل الله بها من سلطان . ونسمع منهم من يقول: إن الإسراء كان مناماً ، أو كان بالروح دون الجسد.

ونقـــول لهؤلاء : لو قال محمد لقومه : أنا رأيت في الرؤيا بيت المقدس ، هل كانوا يكذبـــون ؟ ولـــو قال لهم : لقد سبحت روحي الليلة حتى أتت بيت المقدس، أكانوا يكذبونـــه ؟ أتُكذب الرؤى ، أو حركة الأرواح؟! إذن : في إنكار الكفار على رسول الله وتكذيـــبهم له دليل على أن الإسراء كان حقيقة تمت لرسول الله بروحه وجسده، وكأن الحق سبحانه ادخر الموقف التكذيبي لمكذبي الأمس ، ليرد به على مكذبي اليوم .

وقوله سبحانه : ﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [ســـورة الإسراء ١] العبد كلمة تطلق على الروح والجسد معـــاً ، هـــذا مدلولها ، لا يمكن أن تُطلق على الروح فقط. لكن ، لماذا اختار الحق سبحانه لرسوله هذه الصفة بالذات ؟ نقول : لأن الله تعالى جعل في الكون قانوناً عاماً للناس ، وقد يُخـــرق هـــذا القانون أو الناموس العام ليكون معجزة للخاصة الذين ميّزهم الله عن سائر الخلق ، فكأن كلمة (عبده) هي حيثية الإسراء . أي : أسرى به ؛ لأنه صادق العبودية لله ، ومـــا دام هو عبده فقد أخلص في عبوديته لربه ، فاستحق أن يكون له ميزة وخصوصية عن غيره ، فالإسراء والمعراج عطاء من الله استحقه رسوله بما حقق من عبودية لله.

وفــرق بين العبودية لله والعبودية للبشر ، فالعبودية لله عز وشرف ، يأخذ بها العبد خير سيده ، قال الشاعر :

وممـــا زاد لى شـــرفاً وعـــزاً وكـــدت بأخمصـــى أطأ الثريا
دخـــولى تحت قولك يا عبادى وأن صَـــيّرتَ أحمـــد لى نبـــيا

أما عبودية البشر للبشر فنقص ومذلة وهوان ، حيث يأخذ السيد خير عبده ويحرمه ثمرة كَدّه. لذلك ، فالمتتبع لآيات القرآن يجد أن العبودية لا تأتي إلا في المواقف العظيمة مثل : ﴿ **سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ..** ۝١ ﴾ [سورة الإسراء] ، وقوله : ﴿ **وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ..** ۝١٩ ﴾ [سورة الجن]

ويكفـــيك عِزاً وكرامة أنك إذا أردتَ مقابلة سيدك أن يكون الأمر في يدك ، فما علـــيك إلا أن تتوضأ وتنوي المقابلة قائلاً : الله أكبر ، فتكون في معية الله ﷻ في لقاء تحدد أنت مكانه وموعده ومدته ، وتختار أنت موضوع المقابلة ، وتظل في حضرة ربك إلى أن تنهي المقابلة متى أردتَ. وما أحسن ما قال الشاعر:

حَسْـــبُ نفســـي عزاً بأني عبد يحـــتفي بي بـــلا مواعـــيدَ رب
هـــو في قُدســـه الأعـــز ولكن أنـــا ألقـــى مـــتى وأين أحب

فمـــا بـــالك لو حاولت لقاء عظيم من عظماء الدنيا ؟ وكم أنت ملاقٍ من المشقة والعنت ؟ وكم دونه من الحُجّاب والحراس ؟ ثم بعد ذلك ليس لك أن تختار لا الزمان ولا المكـــان ، ولا الموضوع ولا غيره . وقد كان الرسول وهو المتخلق بأخلاق الله إذا سلّم على أحد لا ينزع يده من يده ، حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده .

وقوله : ﴿ **لَيْلًا** ﴾ [سورة الإسراء] سبق أن قلنا : إن السُّري هو السير ليلاً ، فكانت هـــذه كافية للدلالة على وقوع الحدث ليلاً ، ولكن الحق سبحانه أراد أن يؤكد ذلك ، فقـــد يقـــول قـــائل : لماذا لم يحدث الإسراء نهاراً ؟ نقول : حدث الإسراء ليلاً ، لتظل

المعجـــزة غيـــباً يؤمــــن به من يصدق رسول الله ، فلو ذهب في النهار لرآه الناس في الطريق ذهاباً وعودة ، فتكون المسألة إذن حسية مشاهدة ، لا مجال فيها للإيمان بالغيب.

لذلـــك لمـــا سمع أبو جهل خبر الإسراء طار به إلى المسجد ، وقال : إن صاحبكم يـــزعم أنـــه أُسرى به الليلة من مكة إلى بيت المقدس ، فمنهم من قلّب كفّيه تعجباً ، ومـــنهم من أنكر ، ومنهم من ارتد. أما الصّديق أبو بكر ، فقد استقبل الخبر استقبال المؤمن المصدق ، ومن هذا الموقف سمي الصديق ، وقال قولته المشهورة : "إن كان قال فقـــد صدق ". إذن : عمدته أن يقول رسول الله ، وطالما قال فهو صادق ، هذه قضية مُسَلّم بها عند الصديق ﷺ .

ثم قال : " إنّا لَنصدقه في أبعد من هذا ، نصدقه في خبر السماء (الوحي) ، فكيف لا نصـــدقه في هذا " ؟ إذن : الحق سبحانه جعل هذا الحادث محكاً للإيمان ، وممحصاً لـــيقين الـــناس ، حين يغربل مَن حول رسول الله ، ولا يبقى معه إلا أصحاب الإيمان واليقين الثابت الذي لا يهتز ولا يتزعزع.

لذلك قال تعالى في آية أخرى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ۝ ﴾ [ســورة الإسراء] ، وهذا دليل آخر على أن الإسراء لم يكن مناماً ، فالإسراء لا يكون فتنة واختـــباراً إلا إذا كـــان حقيقة لا مناماً ، فالمنام لا يُكذبه أحد ولا يختلف فيه الناس . لكن لمـــاذا قال عن الإسراء (رؤيا) يعني المنامية ، ولم يقل "رؤية" يعني البصرية ؟ قالوا : لأنها لما كانت عجيبة من العجائب صارت كأنها رؤيا منامية ، فالرؤيا محل الأحداث العجيبة.

وورد في الإســـراء أحاديث كثيرة تكلم فيها العلماء : أكان بالروح والجسد؟ أكان يقظـــة أم مناماً ؟ أكان من المسجد الحرام ، أم من بيت أم هانئ ؟ ونحن لا نختلف مع هـــذه الآراء ، ونوضح ما فيها من تقارب. فمن حيث : أكان الإسراء بالروح فقط أم بالروح والجسد ؟ فقد أوضحنا وجه الصواب فيه ، وأنه كان بالروح والجسد جميعاً ، فهذا مجال الإعجاز ، ولو كان بالروح فقط ما كان عجيباً ، وما كذبه كفار مكة.

أمـــا مـــن ذهـــب إلى أن الإسراء كان رؤيا منام ، فيجب أن نلاحظ أن أول الوحي لرسول الله كان الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا وجاءت كفلق الصبح ، فرؤيا النبي ليســت كرؤيانا ، بل هي صدق لابد أن يتحقق. ومثال ذلك ما حدث ، من إرادة الله له رؤيا الفتح. قال تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ .. ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الفتح]

وقـــد أخبر صحابته هذا الخبر ، فلما ردهم الكفار عند الحديبية ، قال الصحابة لرسول الله : ألم تبشـــرنا بدخـــول المسجد الحرام ؟ فقال : ولكن لم أقل هذا العام. لذلك يسمون هذه الرؤى رؤى الإيناس ، وهي أن يرى النبي الشيء مناماً ، حتى إذا ما تحقق لم يفاجأ به، وكان له أُنْس به. وما دام لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح فلابد أن هذه الرؤيا ستأتي واقعاً وحقيقة ، وقد يرى هذه الرؤيا مرة أخرى على سبيل التذكرة بذلك الإيناس.

إذن : من قال : إن الإسراء كان مناماً نقول له : نعم ، كان رؤيا إيناس تحققت في الواقـــع ، فلديـــنا رؤى الإيناس أولاً ، ورؤى التذكير بالنعمة ثانياً ، وواقع الحادث في الحقـــيقة ثالثاً ، وبذلك نخرج من الخلاف حول : أكان الإسراء يقظة أم مناماً ؟ وحتى بعد انتهاء حادث الإسراء كانت الرؤيا الصادقة نوعاً من التسلية للنبى ، فكان كلما اشـــتدت به الأهوال يُريه الله تعالى ما حدث له ، ليبين له حفاوة السماء والكون به ليكون جلْداً يتحمل ما يلاقي من التعنت والإيذاء .

أمـــا من قال : إن الإسراء كان من بيت أم هانئ ، فهذا أيضاً ليس محلاً للخلاف؛ لأن بيـــت أم هانئ كان ملاصقاً للمطاف من المسجد الحرام ، والمطاف من المسجد. إذن : لا داعـــي لإثارة الشكوك والخلافات حول هذه المعجزة ؛ لأن الفعل فعل الحق ﷻ ، والذي يحكيه لنا هو الحق ﷻ ، فلا مجال للخلاف فيه.

وقوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا .. ﴿١﴾ ﴾[سورة الإسراء] المســـجد الحرام هو بيت الله : الكعبة المشرفة ، وسمي حراماً ؛ لأنه حرم فيه ما لم يحرم

في غـــيره مـــن المساجد. وكل مكان يخصص لعبادة الله نسميه مسجداً ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة التوبة]

ويختلف المسجد الحرام عن غيره من المساجد ، أنه بيت لله باختيار الله ، وغيره من المســاجد بيوت لله باختيار خلق الله ؛ لذلك كان بيت الله باختيار الله قبلة لبيوت الله باختــيار خلق الله. وقد يراد بالمسجد المكان الذي نسجد فيه ، أو المكان الذي يصلح للصلاة ، كما جاء في الحديث الشريف : ".. وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ". أي : صالحة للصلاة فيها.

ولابــد أن نفــرق بين المسجد الذي حيز وخصص كمسجد مستقل ، وبين أرض تصلح للصلاة فيها ومباشرة حركة الحياة ، فالعامل يمكن أن يصلي في مصنعه، والفلاح يمكــن أن يصـــلي في مزرعته ، فهذه أرض تصلح للصلاة ولمباشرة حركة الحياة . أما المســجد فللصـــلاة ، أو ما يتعلق بها من أمور الدين كتفسير آية ، أو بيان حكم ، أو تلاوة قرآن .. الخ ، ولا يجوز في المسجد مباشرة عمل من أعمال الدنيا.

لذلك حينما رأى النبي رجلاً ينشد ضالته في المسجد ، قال له : " لا ردها الله عليك " وقـــال لمن جلس يعقد صفقة في المسجد : " لا بارك الله لك في صفقتك". ذلك لأن المســـجد خصـــص للعبادة والطاعة ، وفيه يكون لقاء العبد بربه ﷻ ، فإياك أن تشغل نفسك فيه بأمور الدنيا ، ويكفي ما أخذته منك ، وما أنفقته في سبيلها من وقت.

والمسجد لا يسمى مسجداً إلا إذا كان بناءً مستقلاً من الأرض إلى السماء، فأرضه مســجد ، وسماؤه مسجد ، لا يعلوه شيء من منافع الدنيا ، كمن يبني مسجداً تحت عمـــارة ســـكنية . ونتحقق من نيته عندما خصص هذا المكان للصلاة : أكانت نيته لله خالصـــة ؟ أم لمأرب دنيوي ؟ وقد قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [ســورة الجن] ، فمثل هذا المكان لا يسمى مسجداً؛ لأنه لا تنطبق عليه

شروط المسجد ، ويعلوه أماكن سكنية ، يحدث فيها ما يتنافى وقدسية المسجد ، وما لا يليق بحرمة الصلاة ، فالصلاة في مثل هذا المكان كالصلاة في أي مكان آخر من البيت. لذلك يحرم على الطيار غير المسلم أن يحلق فوق مكة ؛ لأن جو الحرم حرم.

وقوله تعالى : ﴿ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا.. ﴾ [سورة الإسراء] في بُعْد المسافة نقول : هذا قصي. أي : بعيد. وهذا أقصى أي : أبعد ، فالحق تبارك وتعالى كأنه يلفت أنظارنا إلى أنه سيوجد بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى مسجد آخر قصي ، وقد كان فيما بعد مسجد رسول الله . فالمسجد الأقصى أي : الأبعد وهو مسجد بيت المقدس .

وقوله سبحانه : ﴿ بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ .. ﴿١﴾ ﴾ [سورة الإسراء] البركة : أن يؤتي الشيء من ثمره فوق المأمول منه ، وأكثر مما يُظن فيه ، كأن تعد طعاماً لشخصين ، فيكفي خمسة أشخاص فتقول : طعام مبارك. وقول الحق سبحانه: ﴿ بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ .. ﴿١﴾ ﴾ [سورة الإسراء] دليل على المبالغة في البركة ، فإن كان سبحانه قد بارك ما حولْ الأقصى ، فالبركة فيه من باب أَوْلى ، كأن تقول : من يعيشون حول فلان في نعمة ، فمعنى ذلك أنه في نعمة أعظم .

لكن بأي شيء بارك الله حوله ؟ لقد بارك الله حول المسجد الأقصى ببركة دنيوية، وبركة دينية : بركة دنيوية بما جعل حوله من أرض خصبة عليها الحدائق والبساتين التي تحوي مختلف الثمار ، وهذا من عطاء الربوبية الذي يناله المؤمن والكافر . وبركة دينية خاصة بالمؤمنين ، هذه البركة الدينية تتمثل في أن الأقصى مهد الرسالات ومهبط الأنبياء ، تعطرت أرضه بأقدام إبراهيم وإسحق ويعقوب وعيسى وموسى وزكريا ويحيى، وفيه هبط الوحي وتنزلت الملائكة.

وقوله: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ .. ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء] اللام هنا للتعليل . كأن مهمة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس أن نُرى رسول الله الآيات ، وكلمة : الآيات لا تطلق على مطلق موجود ، إنما تطلق على الموجود العجيب ، كما نقول: هذا آية في الحسن ، آية

في الشجاعة ، فالآية هي الشيء العجيب. ولله تعالى آيات كثيرة منها الظاهر الذي يراه الناس ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ .. ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت] ، وقال : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الشورى] .

والله سبحانه يريد أن يجعل لرسوله خصوصية ، وأن يُريه من آيات الغيب الذي لم يــره أحد ، ليرى حفاوة السماء به ، ويرى مكانته عند ربه الذي قال له : ﴿ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [سورة النحل] ، لأنك في سعة من عطاء الله ، فإن أهانك أهل الأرض فسوف يحتفل بك أهل السماء في الملأ الأعلى ، وإن كنت في ضيق من الخلق فأنت في سعة من الخالق .

وقوــله : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [ســورة الإسراء] أي : الحق ﷻ. السمع : إدراك يــدرك الكلام. والبصر : إدراك يدرك الأفعال والمرائي ، فلكل منهما ما يتعلق به . لكــن سمــيع وبصير لمن ؟ جاء هذا في ختام آية الإسراء التي بينت أن الحق سبحانه جعل الإسراء تسلية للرسول ﷺ بعد ما لاقاه من أذى المشركين وعنتهم ، وكأن معركة دارت بــين رسول الله والكفار حدثت فيها أقوال وأفعال من الجانبين . ومن هنا يمكن أن يكون المعــنى : (سمــيع) لأقوال الرسول (بصير) بأفعاله ، حيث آذاه قومه وكذبوه وألجوؤه إلى الطائف ، فكان أهلها أشد قسوة من إخوانهم في مكة ، فعاد منكراً دامياً .

وكان من دعائه ﷺ : " اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني عــلى الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعــيد يــتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكــن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصَلُحَ علــيه أمــر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، لك العُتْبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك ".

فالله سميع لقول نبيه ﷺ ، وبصير لفعله . فقد كان ﷺ في أشد ظروفه حريصاً على

دعوتـــه ، فقـــد قابل في طريق عودته من الطائف عبداً ، فأعطاه عنقوداً من العنب ، وأخـــذ يحـــاوره في النبوات ، ويقول : أنت من بلد نبي الله يونس بن متى. أو يكون المعـــنى: سمـــيع لأقـــوال المشركين ، حينما آذوا سمع رسول الله وكذبوه وتجهموا له ، وبصير بأفعالهم حينما آذوه ورموه بالحجارة.

الحق تبارك وتعالى تعرض لحادث الإسراء في هذه الآية على سبيل الإجمال ، فذكر بدايته من المسجد الحرام ، ونهايته في المسجد الأقصى ، وبين البداية والنهاية ذكر كلمة الآيـــات هكذا مجملة . وجاء ﷺ ففسر لنا هذا المجمل ، وذكر الآيات التي رآها ، فلو لم يذكـــر لنا رسول الله ﷺ ما رأى من آيات الله لَقُلْنا : وأين هذه الآيات ؟ فالقرآن يعطينا اللقطة الملزمة لبيان الرسول ﷺ : ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾** ﴾ [القيامة]

إذن : كـــان لابد لتكتمل صورة الإسراء في نفوس المؤمنين أن يقول الرسول ﷺ ما قـــال مـــن أحاديث الإسراء . لكن يأتي المشككون وضعاف الإيمان يبحثون في أحاديث الإســـراء عن مأخذ ، فيعترضون على المرائي التي رآها رسول الله ﷺ ، وسأل عنها جبريل عليه السلام. فكان اعتراضهم أن هذه الأحداث في الآخرة ، فكيف رآها محمد ﷺ ؟

ونقول لهؤلاء : لقد قصرت أفهامكم عن إدراك قدرة الله في خلق الكون ، فالكون لم يُخلـــق هكذا ، بل خُلِق بتقدير أزلي له ، ولتوضيح هذه المسألة نضرب هذا المثل : هـــب أنـــك أردتَ بناء بيت ، فسوف تذهب إلى المهندس المختص وتطلب منه رسماً تفصيلياً له ، ولو كنت ميسور الحال تقول له : اعمل لي (ماكيت) للبيت ، فيصنع لك نموذجـــاً مصـــغراً للبيت الذي تريده. فالحق سبحانه خلق هذا الكون أزلاً ، فالأشياء مخلوقة عند الله (كالماكيت) ، ثم يبرزها سبحانه على وفق ما قدره.

وتأمل قول الحق ﷻ : ﴿ **إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾** ﴾[سورة يس]

انظـــر : (**أَن يَقُولَ لَهُۥ**) كـــأن الشيء موجود والله تعالى يظهره فحسب ، لا يخلقه

بداية، بل هو مخلوق جاهز ينتظر الأمر ليظهر في عالم الواقع ؛ لذلك قال أهل المعرفة : أمور يبديها ولا يبتديها.

وإن كان الحق تبارك وتعالى قد ذكر الإسراء صراحة في هذه الآية ، فقد ذكر المعراج بالالتزام في سورة النجم ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم]

ففي الإسراء قال تعالى : ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴿١﴾ ﴾ [سورة الإسراء] ، وفي المعراج قال : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة النجم] .

ذلك لأن الإسراء آية أرضية استطاع الرسول ﷺ بما آتاه الله من الإلهام أن يدلل على صدقه في الإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؛ لأن قومه على علم بتاريخه ، وأنه لم يسبق له أن رأى بيت المقدس أو سافر إليه ، فقالوا له : صفه لنا وهذه شهادة منهم أنه لم يره ، فتحدوه أن يصفه. والرسول ﷺ حينما يأتي بمثل هذه العملية، هل كان عنده استحفاظ كامل لصورة بيت المقدس ، خاصة وأنه قد ذهب إليه ليلاً ؟ إذن : صورته لم تكن واضحة أمام النبي ﷺ بكل تفاصيلها ، وهنا تدخلت قدرة الله فجلاه الله له ، فأخذ يصفه لهم كأنه يراه الآن .

كما أن الطريق بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى طريق مسلوك للعرب ، فهو طريق تجارتهم إلى الشام ، فأخبرهم ﷺ أن عيراً لهم في الطريق ، ووصفها لهم وصفاً دقيقاً ، وأنها سوف تصلهم مع شروق شمس يوم معين . وفعلاً تجمعوا في صبيحة ذلك اليوم ينتظرون العير . وعند الشروق قال أحدهم : هاهي الشمس أشرقت . فردّ الآخر : وهاهي العير قد ظهرت. إذن : استطاع ﷺ أن يدلل على صدق الإسراء ؛ لأنه آية أرضية يمكن التدليل عليها ، بما يعلمه الناس عن بيت المقدس ، وبما يعلمونه من عيرهم في الطريق .

أما ما حدث في المعراج ، فآيات كبرى سماوية لا يستطيع الرسول ﷺ التدليل

علـــيها أمام قومه ، فأراد الحق سبحانه أن يجعل ما يمكن الدليل عليه من آيات الأرض وســـيلة لتصديق ما لا يوجد دليل عليه من آيات الصعود إلى السماء ، وإلا فهل صعد أحـــد إلى ســـدرة المنتهى ، فيصفها له رسول الله ؟ إذن : آية الأرض أمكن أن يدلل علـــيها ، فـــإذا مـــا قام عليها الدليل ، وثبت للرسول خرق نواميس الكون في الزمن والمســـافة ، فإنْ حدّثكم عن شيء آخر فيه خرق للنواميس فصدقوه فكأن آية الإسراء جـــاءت لـــتقرب للـــناس آية المعراج . فالذي خرق له النواميس في آيات الأرض من الممكن أن يخرق له النواميس في آيات السماء .

فـــالله تعالى يقرب الغيبيات ، التي لا تدركها العقول بالمحسات التي تدركها. ومن ذلك ما ضربه الله مثلاً محسوساً لمضاعفة النفقة في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف ، فأراد الحـــق سبحانه أن يبين ذلك ويقربه للعقول ، فقال : ﴿ **مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[سورة البقرة]

ومـــن لطف الله سبحانه بعقول خلقه أن جعل آيات الإسراء بالنص الملزم الصريح لكـــن آيـــات المعراج جاءت بالالتزام في سورة النجم ؛ لذلك قال العلماء : إن الذي يُكـــذّب بالإســـراء يكفـــر ، أما من يُكذّب بالمعراج فهو فاسق . لكن أهل التحقيق يذهـــبون إلى تكفير من يُكذّب المعراج أيضاً ؛ لأن المعراج وإن جاء بالالتزام فقد بيّنه الرســـول ﷺ في حديـــثه الشريف ، والحق يقول : ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ﴿٧﴾ ﴾ [ســـورة الحشـــر] والمتأمل في الإســـراء والمعراج يجده إلى جانب أنه تسلية لرسول الله ﷺ وتخفيف عنه ، إلا أن لهم هدفـــاً آخـــر أبعـــد أثراً ، وهو بيان أن رسول الله ﷺ مؤيد من الله ، وله معجزات ، وتُخْـــرق لـــه القوانين والنواميس العامة ؛ ليكون ذلك كله تكريماً ودليلاً على صدق رســـالته . فالمعجزة : أمر خارق للعادة الكونية يُجريه الله على يد رسوله ليكون دليلاً

علـى صـدقه ، ومن ذلك ما حدث لإبراهيم الخليل عليه السلام حيث ألقاه قومه في النار ، ومـن خواص النار الإحراق ، فهل كان المراد نجاة إبراهيم من النار ؟ لو كان القصد نجاتـه من النار ما كان الله مكّنهم من الإمساك به ، ولو أمسكوا فيمكن أن يترل الله المطر فيطفئ النار .

إذن : المسألة ليست نجاة إبراهيم ، المسألة إثبات خرق النواميس لإبراهيم عليه السلام فشاء الله أن تظـل النار مشتعلة ، وأن يمسكوا به ويرموه في النار ، وتتوفر كل الأسباب لحرقه عليه السلام ، وهـنا تـتدخل عـناية الله لتظهر المعجزة الخارقة للقوانين ، فمن خواص النار الإحـراق ، وهي خَلْق من خَلْق الله ، يأتمر بأمره ، فأمر الله النار ألا تحرق ، سلبها هذه الخاصية ، فقال تعالى : ﴿ **قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾** ﴾ [سورة الأنبياء]

وربمـا يجـد المشـككون في الإسراء والمعراج ما يُقرّب هذه المعجزة لأفهامهم بما نشاهده الآن من تقدم علمي يُقرب لنا المسافات ، فقد تمكّن الإنسان بسلطان العلم أن يغزو الفضاء ، ويصعد إلى كواكب أخرى في أزمنة قياسية ، فإذا كان في مقدور البشر الهبوط على سطح القمر ، أتستبعدون الإسراء والمعراج ، وهو فعل لله سبحانه ؟!

وكذلـك من الأمور التي وقفت أمام المعترضين على الإسراء والمعراج حادثة شق الصدر التي حكاها رسول الله ﷺ ، والمتأمل فيه يجده عملاً طبيعياً لإعداد الرسول ﷺ لمـا هو مقبل عليه من أجواء ومواقف جديدة تختلف في طبيعتها عن الطبيعة البشرية . كيف ونحن نفعل مثل هذا الإعداد حينما نسافر من بلد إلى آخر، فيقولون لك : البس ملابس كذا . وخذ حقنة كذا لتساير طبيعة هذا البلد ، وتتأقلم معه ، فما بالك ومحمد ﷺ سيلتقي بالملائكة وبجبريل وهم ذوو طبيعة غير طبيعة البشر ، وسيلتقي بإخوانه من الأنبياء ، وهم في حال الموت ، وسيكون قاب قوسين أو أدنى من ربه عز وجل ؟ إذن : لا غرابة في أن يحدث له تغيير ما في تكوينه ﷺ ليستطيع مباشرة هذه المواقف .

وإذا اسـتقرأنا القـرآن الكريم فسوف نجد فيه ما يدل على صدق رسول الله فيما

أخبر به من لقائه بالأنبياء في هذه الرحلة ، قال تعالى : ﴿ **وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ** ﴾ [سورة الزخرف]

والرسول ﷺ إذا أمره ربه أمراً نفذه ، فكيف السبيل إلى تنفيذ هذا الأمر : واسأل من سبقك من الرسل ؟ لا سبيل إلى تنفيذه إلا في لقاء مباشر ومواجهة ، فإذا حدثنا بذلك رسول الله في رحلة الإسراء والمعراج نقول له : صدقت ، ولا يتسلل الشك إلا إلى قلوب ضعاف الإيمان واليقين . فالفكرة في هذه القضية الإسراء والمعراج دائرة بين يقين المؤمن بصدق رسول الله ﷺ ، وبين تحكيم العقل ، وهل استطاع عقلك أن يفهم كل قضايا الكون من حولك ؟ فما أكثر الأمور التي وقف فيها العقل و لم يفهم كُنْهها ، ومع مرور الزمن وتقدم العلوم رآها تتكشف له تدريجياً ، فما شاء الله أن يُظهره لنا من قضايا الكون يَسّر لنا أسبابه باكتشاف أو اختراع ، وربما بالمصادفة.

وما العقل إلا وسيلة إدراك ، كالعين والأذن ، وله قوانين محددة لا يستطيع أن يتعداها ، وإياك أن تظن أن عقلك يستطيع إدراك كل شيء ، بل هو محكوم بقانون. ولتوضيح ذلك ، نأخذ مثلاً العين ، وهي وسيلة إدراك يحكمها قانون الرؤية ، فإذا رأيتَ شخصاً مثلاً تراه واضح الملامح ، فإذا ما ابتعد عنك تراه يصغر تدريجياً حتى يختفي عن نظرك ، كذلك السمع تستطيع بأذنك أن تسمع صوتاً ، فإذا ما ابتعد عنك قلّ سمعك له، حتى يتوقف إدراك الأذن فلا تسمع شيئاً . كذلك العقل كوسيلة إدراك له قانون ، وليس الإدراك فيه مطلقاً. ومن هنا لما أراد العلماء التغلب على قانون العين وقانون الأذن حينما تضعف هذه الحاسة وتعجز عن أداء وظيفتها صنعوا للعين النظارة والميكروسكوب والمجهر ، وهذه وسائل حديثة تُمكّن العين من رؤية ما لا تستطيع رؤيته . وكذلك صنعوا سماعة الأذن لتساعدها على السمع إذا ضعفت عن أداء وظيفتها.

إذن : فكل وسيلة إدراك لها قانونها ، وكذلك العقل ، وإياك أن تظن أن عقلك يستطيع أن يدرس كل شيء ، ولكن إذا حُدِّثْتَ بشيء فعقلك ينظر فيه ، فإذا وثقته

صــادقاً فقــد انتهت المسألة ، وخذ ما حُدثت به على أنه صدق. وهذا ما حدث مع الصــديق أبي بكر ﷺ حينما حدثوه عن صاحبه ﷺ ، وأنه أُسرى به من مكة إلى بيت المقــدس ، فمــا كان منه إلا أن قال : " إن كان قال فقد صدق ". فالحجة عنده إذن قــول الرسول ، وما دام الرسول قد قال ذلك فهو صادق ، ولا مجال لعمل العقل في هذه القضية ، ثم قال : " كيف لا أُصدّقه في هذا الخبر ، وأنا أُصدّقه في أكثر من هذا ، أُصدّقه في خبر الوحي يأتيه من السماء " .

فآيــة الإسراء إذن كانت آية أرضية ، يمكن أن يُقام عليها الدليل ، ويمكن أن يفهم الــناس عنها أن القانون قد خُرِق لمحمد في الإسراء ، فإذا ما أتى المعراج وخُرِق له القانون فــيما لا يعــلم الناس كان أدعى لتصديقه . والمتأمل في هذه السورة يجدها تسمى سورة الإســراء ، وتســمى سورة بني إسرائيل ، وليس فيها عن الإسراء إلا الآية الأولى فقط ، وأغلبها يتحدث عن بني إسرائيل ، فما الحكمة من ذكر بني إسرائيل بعد الإسراء ؟

سبق أن قلنا : إن الحكمة من الكلام عن الإسراء بعد آخر النحل أن رسول الله ﷺ كــان في ضَيْق مما يمكرون ، فأراد الحق سبحانه أن يخفف عنه ويسليه ، فكان حادث الإسراء ، ولما أَلِف بنو إسرائيل أن الرسول يُبعث إلى قومه فحسب ، كما رأوا موسى علــيه الســلام . فعندما يأتي محمد ﷺ ويقول : أنا رسول للناس كافة سيعترض عليه هؤلاء ، وسيقولون : إن كنتَ رسولاً فعلاً وسلمنا بذلك ، فأنت رسول للعرب دون غيرهم ، ولا دَخْل لك ببني إسرائيل ، فَلَنا رسالتنا وبيت المقدس عَلَم لنا .

لذلــك أراد الحق سبحانه أن يلفت بني إسرائيل إلى عموم رسالة محمد ﷺ ، ومن هنا جعل بيت المقدس قبلة للمسلمين في بداية الأمر ، ثم أسرى برسوله ﷺ إليه ، ليدلل بذلك على أن بيت المقدس قد دخل في مقدسات الإسلام ، وأصبح منذ هذا الحدث في حوزة المسلمين.

خواطر في سورة الكهف

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ ﴾ [الكهف]

ختم الحق سبحانه سورة الإسراء بالحمد ، وبدأ سورة الكهف با حمد ، والحمد لله دائماً هــو الشعار الذي أطلقه رسول الله ﷺ في خير الكلمات : "سبحان الله والحمد لله " سبحان الله بدئـــت بها سورة الإسراء ، والحمد لله بدئت بها سورة الكهف . سبحان الله تنزيه لذاته ســبحانه أن يكون له شريك ، لا في الذات ، ولا في الأفعال ، ولا في الصفات ، والحمد لله كذلـــك تكـــبرة للذات ، وبعد ذلك جاء العطاء من الذات فقلنا : الحمد لله ، فسبحان الله تنزيـــه ، والحمـــد لله شـــكر على العطاء . والحمد يشترك معه في المعنى العام : ثناء وشكر ومدح، إلا أن هذه الألفاظ وإن تقاربت في المعنى العام فلكل منها معناه الخاص .

وكل هذه الألفاظ فيها ثناء ، إلا أن الشكر يكون من مُنْعَم عليه بنعمة خاصة به ، كأن يسدي لك إنسان جميلاً لك وحدك ، فتشكره عليه . أما الحمد فيكون على نعمة عامـــة لـــك ولغيرك ، فرقعة الحمد أوسع من رقعة الشكر ، أما المدح فقد تمدح ما لا يعطيك شيئاً ، كأن تمدح مثلاً الشكل الجميل لمجرد أنه أعجبك . فقول الحق: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾بـــالألف والـــلام الدالـــة على الحصر ، فالمراد الحمد المطلق الكامل لله ، الحمد المســـتوعب لكـــل شيء ، حتى إن حمدك لأي إنسان قدم لك جميلاً فهو إذا سلسلته حمدٌ لله تعالى الذي أعان هذا الإنسان على أن يحسن إليك ، فالجميل جاء من حركته ، وحركته موهوبة له من خالقه ، والنعمة التي أمدك بها موهبة من خالقه تعالى .

وهكـــذا إذا سلسلتَ الحمد لأي إنسان في الدنيا تجده يصل إلى المنعِم الأول ﷻ. وكلمة (الحمـــد لله) هذه هي الصيغة التي علمنا الله أن نحمده بها ، وإلا فلو ترك لنا حرية التعبير عن الحمـــد و لم يحـــدد لـــنا صيغة نحمده ونشكره بها لاختلف الخلق في الحمد حسب قدراتهم وتمكـــنهم من الأداء ، وحسب قدرتهم على استيعاب النعم ، ولوجدنا البليغ صاحب القدرة الأدائـــية أفصـــح مـــن العيي والأمي. فتحمل الله عنا جميعاً هذه الصيغة ، وجعلها متساوية للجميع ، الكل يقول (الحمد لله) البليغ يقولها ، والعيي يقولها ، والأمي يقولها .

لذلك يقول النبي ﷺ وهو يحمد الله ، ويثني عليه : " سبحانك ، لا نحصي ثناء أنــت كما أثنيت على نفسك " . فإن أردنا أن نحصي الثناء عليك فلن نستطيع ؛ لأن الثــناء علــيك لا يعرف مداه إلا أنت ، ولا يحصيه غيرك ، ولا نملك إلا أن نقول ما علّمتــنا من حمدك : الحمد لله . إذن : فاستواء الناس جميعاً في الحمد لله نعمة كبرى في ذاتهــا تستحق الحمد ، فنقول : الحمد لله على ما علمنا من الحمد لله ، والحمد الأول أيضاً نعمة ، وبذلك نقول : الحمد لله على ما علمنا من الحمد لله بالحمد لله . وهكذا ، لــو تتبعــتَ الحمد لوجدته سلسلة لا تنتهي ، حمدٌ على حمد على حمد على حمد ، فــيظل الله محموداً دائماً ، ويظل العبد حامداً إلى ما لا نهاية. والحمد لله استهل بها الحق سبحانه خمس سور من القرآن :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة]

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام]

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ [الكهف]

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [سبأ]

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر]

ولكــن ، لكــل حمــد في كل سورة حيثية خاصة ، فالحمد في الأولى لأن الله رب العالمين ، ورب يعني الخالق والمتولي للتربية ، خلق من عَدَم ، وأمد من عُدْم ، وتولى تربية عــباده ، فهو رب لكل العالمين ؛ لذلك يجب أن نحمد الله على أنه هو الرب الذي خلق

العالمين ، وأمدهم بفضله . وفي الثانية : نحمده سبحانه الذي خلق السماوات والأرض ، وجعـل الظـلمات والـنور ، وهـذه آيات من آيات الله ، ونِعَم من نِعَمه سبحانه ، فالسـماوات والأرض فـيها قيام البشر كلهم بما يمد حياتهم بالقوت ، ويستبقي نوعهم بالتكاثر . والظلمات والنور من نِعَم الله ، وهما متكاملان لا متضادان ، فللظُّلْمة مهمة ، كمـا أن للـنور مهمة ، الظلمة للسكون والراحة ، والنور للسعي والحركة ، ولا يمكن لسَـاع أن يسـعى ويجدّ في عمل ، إلا إذا ارتاح وسكن وجدد نشاطه ، فتقابل الظلمة والنور للتكامل ، فالحياة لا تستقيم في ظلام دائم ، كما أنها لا تستقيم في نور دائم .

وفي السـورة الثالثة من السور التي افتتحها الحق سبحانه ب(الحمد لله) والتي نحن بصـددها أراد الحق سبحانه أن يوضح أنه لم يُربّ الخلق تربية مادية فقط ، بل هناك تربـية أعـلى من المادة تربية روحية قيمية ، فذكر هنا الحيثية الحقيقية لخلق الإنسان ، فهو لم يُخلق لمادته فحسب ، ولكن لرسالة أسمى ، خلق ليعرف القيم والرب والدين ، وأن يعمل لحياة أخرى غير هذه الحياة المادية .

فقـال ﷺ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ ﴾ [الكهف]
فحيثـية الحمـد هنا إنزال الكتاب الذي يجمع كل القيم . وقلنا : إن الحق سبحانه محمود برحمانيـته قـبل أن يخلق الخَلْق وضع لهم النماذج التي تصلح حركة الحياة ، كما قال تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [سورة الرحمن]

فتعلـيم القـرآن جاء قبل خلق الإنسان ، إذن : وضع الحق سبحانه لعباده المنهج المنظم لحـياتهم قبل أن يخلقهم ، لعلمه سبحانه بطبيعة خَلْقه ، وبما يصلحهم ، كالمخترع للآلة الذي يعلم مهمتها ويحدد قانون صيانتها ، فالكتاب الذي نزل على محمد ﷺ هو المهمة الأساسية ، فيجب أن تُوطّن عليها نفسك ، وتعلم أنه المنظم لحياتك ، وبه قانون صيانتك .

وقولـه : ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِ .. ۝١ ﴾ [سورة الكهف] ، كما قلنا في سورة الإسراء: إن العـبودية كانـت حيثية الرفعة في الإسراء والمعراج ، فقال سبحانه : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ

﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ .. ﴿١﴾ ﴾ [سورة الإسراء] ، فالعبودية رفعته إلى حضرته تعالى ؛ لأنه كان عبداً بحق ، وهذا يعني إنزال الكتاب عليه ، فكان عبداً بحق قبل أن يُسرى به ، وحمل منهج الله أولاً فالتفت لربه لفتة أراد أن يلفت بها سواه ، فأخلص هو أولاً في العبودية ، وتحمل ما تحمل ، فكان من جزائه أن يرتفع إلى مقام الحضرة فَعُرِج به ، وهناك أعطاه الله الصلاة ليترل بها إلى الخلق ليرفع بها صونه إلى المقام الذي سعى إليه بالمعراج .

إذن : فالنبي تناول ليناول ، وتناول لأنه أخلص العبودية ، فصعد إلى حضرة ربه ، وأخذ فريضة الصلاة وبلّغها لقومه ، وكأنه يقول لهم : من أراد أن يلتقي بالله ، فليدخل في الصلاة .

و﴿ ٱلْكِتَٰبَ .. ﴿١﴾ ﴾ [سورة الكهف] هو القرآن الكريم ، لكن سورة الكهف ترتيبها الثامنة عشرة بين سور المصحف من المائة والأربعة عشرة سورة ، أي : أن القرآن لم يكتمل بعد ، فلماذا قال تعالى (الكتاب) وهو لم يكتمل بعد ؟ نقول : الكتاب يُطلق ويُراد به بعضه ، كما في قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة القيامة] ، فالآية الواحدة تسمى قرآناً ، والسورة تسمى قرآناً ، والكل نسميه قرآناً. أو: يكون المراد أن الله أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ ، ثم نزّله بعد ذلك مُنَجّماً حسب الوقائع ، فالمراد هنا الإنزال لا التتريل.

وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ [سورة الكهف] أي : جعله مستقيماً ، لا عِوَجَ فيه ، كما قال في آية أخرى : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الزمر] والاعوجاج ، أن يأخذ الشيء امتداداً منحنياً ملتوياً ، أما الاستقامة فهي الامتداد في نفس الاتجاه ، لا يميل يميناً أو شمالاً ، ومعلوم أن الخط المستقيم يمثل أقرب مسافة بين نقطتين ، ولا تستقيم حياة الناس في الدنيا إلا إذا ساروا جميعاً على منهج مستقيم يعصمهم من التصادم في حركة الحياة

فالحق ﷻ خلق الخلق متكاملين ، فكل منهم لديه موهبة يحتاجها الآخرون ، فهذا

طبيب ، وهذا مهندس ، وهذا نجار ، وهذا خياط ، ولا يستطيع أحد أن يقوم بذاته أو يستغني عن مواهب غيره ، فلابد أن يتواجه الناس في الحياة ، وأن يتكاملوا .

هـذا التواجه إن لم يُنظم وتُوضع له قوانين مرور دقيقة تصادمت حركات الناس كما يحدث على الطريق الملتوي كثير المنحنيات ، فالقادم من هنا لا يرى القادم من هناك ، فيحدث التصادم . إذن : لابد من استقامة الطريق ليرى كل منا الآخر ، فلا يصطدم به. والمنهج الإلهي هو الطريق المستقيم الذي يضمن سلامة حركة الحياة .

وقد ذُكر الاعوجاج أيضاً في قوله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه] فقوله : ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا.. ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه] أي : أرضاً مستوية خالية من أي شيء . ﴿ وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة طه] أي : مستقيمة. أي: مستوية ولا يوجد بها مرتفعات أو منخفضات تعوق الرؤية أيضاً وتسبب التصادم ، وهذا ما يسميه رجال المرور (العقبة).

خواطر في سورة مريم

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ﴾ هذه خمسة حروف مقطعة ، تنطق باسم الحرف لا بمسماه ، لأن الحرف له اسم وله مسمى ، فكلمة (كتب) مسماها (كتب) ، أما بالاسم فهي : كـاف ، تاء ، باء . فالاسم هو العَلَم الذي وُضع على هذا اللفظ وفي القرآن الكريم سور كثيرة ابتدئت بحروف مقطعة ، تُنطق باسم الحرف لا مُسماه ، وهذه الحروف قد تكون حرفاً واحداً مثل : ن ، ص ، ق . وقد تكون حرفين مثل : طه ، طس . وقد تكون ثلاثة أحرف مثل : الم ، طسم . وقد تأتي أربعة أحرف مثل : المر . وقد تأتي بخمسة أحرف مثل : كهيعص ، حمعسق .

لذلك نقول : لا بد في تعلم القرآن من السماع ، وإلاّ فكيف تُفرّق بين الم في أول البقرة فتنطقها مقطعة ، وبين ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [الشرح] فتنطقها

موصولة؟ وصدق الله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة]

ونلاحظ في هذه الحروف أنه ينطق بالمسمى المتعلمُ وغير المتعلم ، أما الاسم فلا ينطق به إلا المتعلم الذي عرف حروف الهجاء . فإذا كان الرسول ﷺ أمياً لم يجلس إلى معلم ، وهذا بشهادة أعدائه ، فَمَن الذي علّمه هذه الحروف ؟ إذن : فإذا رأيت هذه الحروف المقطعة ، فاعلم أن الحق ﷻ نطق بها بأسماء الحروف ، ونحن نتكلم بمسميات الحروف لا بأسمائها .

ثم يقول الحق ﷻ : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ ﴾

الذكــر : له معان متعددة ، فالذكر هو الإخبار بشيء ابتداء ، والحديث عن شيء لم يكن لك به سابق معرفة ، ومنه التذكير بشيء عرفته أولاً ، ونريد أن نُذكّرك به ، كما في قوله : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الذاريات]

ويُطلق الذكر على القرآن : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجر] وفي القرآن أفضل الذكر ، وأصدق الأخبار والأحداث . كما يطلق الذكر على كل كتاب سابق من عند الله ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة النحل]

والذكر هو الصيت والرفعة والشرف ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة الزخرف] . وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الأنبياء] . أي : فيه صيتكم وشرفكم ، ومن ذلك قولنا : فلان له ذكر في قومه . ومن الذكر ذكْر الإنسان لربه بالطاعة والعبادة ، وذكر الله لعبده بالمثوبة والجزاء والرحمة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [سورة البقرة]

فقوله تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة مريم] . أي : هذا يا محمد خبر زكريا وقصته ورحمة الله به . والرحمة : هي تجلّيات الراحم على المرحوم بما

يُديم له صلاحه لمهمته ، إذن : فكل راحم ولو من البشر ، وكل مرحوم ولو من البشر ، مـــاذا يصنع ؟ يعطى غيره شيئاً من النصائح تُعينه على أداء مهمته على أكمل وجه ، فما بالك إن كانت الرحمة من الخالق الذى خلق الخلق ؟ وما بالك إذا كانت رحمة الله لخـــير خلقـــه محمد ؟ إنها رحمة عامة ورحمة شاملة ؛ لأنه ﷺ أشرف الأنبياء وأكرمهم وخاتمهم ، فلا وحي ولا رسالة من بعده ، ولا إكمال .

إذن : فهـــو أشـــرف الخلق ، ورحمة كل نبي تأخذ حظها من الحق سبحانه بمقدار مهمـــته ، ومهمة محمد أكرم المهمات . . وكلمة (رحمة) هنا مصدر يؤدى معنى فعله ، فالمصـــدر مثل الفعل يحتاج إلى فاعل ومفعول ،كما نقول : آلمني ضرب الرجلِ ولدَه ، فمعنى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ ﴾ [سورة مريم]

أي : رحـــم ربك عبده زكريا ؛ لذلك قال تعالى : ﴿ رَحْمَتِ رَبِّكَ .. ۝ ﴾ [سورة مـــريم] ؛ لأنها أعلى أنواع الرحمة ، وإنْ كان هنا يذكر رحمته تعالى بعبده زكريا ، فقد خاطب محمداً ﷺ بقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [سورة الأنبياء] فـــرحمة الله تعالى بمحمد ليست رحمة خاصة به ، بل هي رحمة عامة لجميع العاملين ، وهذه منزلة كبيرة عالية .

فالمـــراد من ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ ﴾ [سورة مريم] يعنى هذا الذي يُتـــلى علـــيك الآن يا محمد هو ذِكْر وحديث وخبر رحمة ربك التي هي أجلّ الرحمات بعبده زكريا . وسبق أن أوضحنا أن العبودية للخلق مهانة ومذلة ، وهي كلمة بشعة لا تُقـــبل ، أمـــا العبودية لله تعالى فهي عز وشرف ، بل منتهى العز والشرف والكرامة ، وعللـــنا ذلك بأن العبودية التي تسوء وتُحزن هي عبودية العبد لسيد يأخذ خيره ، أما العبودية لله تعالى فيأخذ العبدُ خيرَ سيده .

لكن ،ما نوع الرحمة التي تجلى الله تعالى بها حين أخبر رسوله ﷺ بخبر عبده زكريا؟ ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ ﴾ [سورة مريم]. قالوا : لأنها رحمة تتعلق بطلاقة

القــدرة في الكون ، وطلاقة القدرة في أن الله تبارك وتعالى خلق للمسببات أسباباً ، ثم قــال للأســباب : أنت لستِ فاعلة بذاتك ، ولكن بإرادتي وقدرتي ، فإذا أردتُك ألا تفعلي أبطلتُ عملك ، وإذا كنتِ لا تنهضين بالخير وحدك فأنا أجعلك تنهضين به .

ومن ذلك ما حدث في قصة خليل الله إبراهيم حين ألقاه الكفار في النار ، ولم يكن حــظ الله بإطفاء النار عن إبراهيم ، أو بجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم أن يُنجي إبراهــيم ؛ لأنــه كان من الممكن ألا يُمكّن خصوم إبراهيم عليه السلام من القبض عليه ، أو يُنزل مطراً يطفئ ما أوقدوه من نار ، لكن ليست نكاية القوم في هذا فلو أفلت إبراهيم مــن قبضتهم ، أو نزل المطر فأطفأ النار لقالوا : لو كنا تمكنّا منه لفعلنا به كذا وكذا ، ولــو لم ينزل المطر لفعلنا به كذا وكذا . إذن : شاءت إرادة الله أن تكيد هؤلاء ، وأن تُظهــر لهــم طلاقة القدرة الإلهية فتُمكنهم من إبراهيم حتى يلقوه في النار فعلاً ، ثم يأتي الأمر الأعلى من الخالق سبحانه للنار أن تتعطل فيها خاصية الإحراق : ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة الأنبياء]

وكذلــك في قصة رحمة الله لعبده زكريا تعطينا دليلاً على طلاقة القدرة في مسألة الخلــق ، وليلفتنا إلى أن الخالق ﷻ جعل للكون أسباباً ، فَمَن أخذ بالأسباب يصل إلى المســبب ، ولكــن إيــاكم أن تُفْتَــنوا في الأسباب ، لأن الخالق سبحانه قد يعطيكم بالأسباب ، وقد يلغيها نهائياً ، ويأتي بالمسببات دون أسباب .

وقد تجلت طلاقة القدرة في قصة بدء الخلق ، فنحن نعلم أن جمهرة الناس وتكاثرهم يــتم عــن طريق التزاوج بين رجل وامرأة ، إلا أن طلاقة القدرة لا تتوقف عند هذه الأســباب ، والخالق سبحانه يدير خلقه على كل أوجه الخلق ، فيأتي آدم دون ذكر أو أنــثى ، ويخلق حواء من ذكر دون أنثى ، ويخلق عيسى من أنثى بدون ذكر . فالقدرة الإلهــية إذن غــير مقــيدة بالأسباب ، وتظل طلاقة القدرة هذه في الخلق إلى أن تقوم الســاعة ، فــنرى الرجل والمرأة زوجين ، لكن لا يتم بينهما الإنجاب وتتعطل فيهما

الأسباب ، حتى لا نعتمد على الأسباب وننسى المسبب سبحانه .

فهــو القائل : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة الشورى]

وطلاقة القدرة في قصة زكريا عليه السلام تتجلى في أن الله تعالى استجاب لدعاء زكريا في أن يرزقه الولد . قال تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة مريم]. أي : رحمــه الله ، لكــن متى كانت هذه الرحمة؟ يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾ [سورة مريم] أي : في الوقت الذي نادى فيه ربه نداء خفياً .

والنداء لون من ألوان الأساليب الكلامية ، والبلاغيون يقسمون الكلام إلى: خبر ، وهــو أن تخــبر عن شيء بكلام يحتمل الصدق أو الكذب . وإنشاء ، وهو أن تطلب بكلامــك شــيئاً ، والإنشاء قولٌ لا يحتمل الصدق أو الكذب . والنداء من الإنشاء ؛ لأنــك تريد أن تنشيء شيئاً من عندك ، فلو قلت : يا محمد فأنت تريد أن تنشئ إقبالاً عليك ، فالنداء إذن طلب الإقبال عليك .

لكــن هل يصح أن يكون النداء من الله تعالى بهذا المعنى ؟ إنك لا تنادى إلا البعيد عنك الذي تريد أن تستدنيه منك . فكيف تنادى ربك تبارك ونعالى وهو أقرب إليك مــن حبل الوريد ؟ وكيف تناديه سبحانه وهو يسمعك حتى قبل أن تتكلم ؟ فإذا كان إقــباله عليك موجوداً في كل وقت ، فما الغرض من النداء هنا ؟ نقول : الغرض من الــنداء : الدعاء . ووَصْف النداء هنا بأنه : ﴿ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾ [سورة مريم] لأنه ليس كــنداء الخلــق للخلق ، يحتاج إلى رفع الصوت حتى يسمع ، إنه نداء لله تبارك وتعالى الــذى يستوى عنده السر والجهر ، وهو القائل : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الملك]

ومن أدب الدعاء أن ندعوه سبحانه كما أمرنا : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ

﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [سورة الأعراف] . وهو سبحانه: ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [سـورة طه] أي : وما هو أخفي من السر ؛ لأنه سبحانه قبل أن يكون سراً علم أنه سـيكون سراً . لذلك ، جعل الحق سبحانه أحسن الدعاء الدعاء الخفي ؛ لأن الإنسان قـد يدعو ربه بشيء ، إنْ سمعه غيره ربما استنقصه ، فجعل الدعاء خفياً بين العبد وربه حـتى لا يُفتضـح أمره عند الناس . أما الحق سبحانه فهو ستار يحب الستر حتى على العاصـين ، وكذلك ليدعو العبد ربه بما يستحي أن يذكره أمام الناس ، وليكون طليقاً في الدعـاء فـيدعو ربـه بما يشاء ؛ لأنه ربه ووليه الذي يفزع إليه . وإن كان الناس يحزنون ويتضجرون إن سألتهم أدنى شيء ، فإن الله تعالى يفرح بك إن سألته .

لكـن ، لمـاذا أخفى زكريا دعاءه ؟ دعا زكريا ربه أن يرزقه الولد ، ولكن كيف يـتحقق هـذا المطلب وقد بلغ من الكبر عتياً وامرأته عاقر ؟ فكأن الأسباب الموجودة جميعها معطلة عنده ؛ لذلك توجه إلى الله بالدعاء : يا رب لا ملجأ لي إلا أنت ، فأنت وحدك القادر على خَرْق الناموس والقانون ، وهذا مطلب من زكريا جاء في غير وقته . أخفـاه أيضاً ؛ لأنه طلب الولد في وجود أبناء عمومته الذين سيحملون منهجه من بعـده ، إلا أنه لم يأتمنهم على منهج الله ؛ لأن ظاهر حركتهم في الحياة غير متسقة مع المـنهج ، فكيف يأتمنهم على منهج الله وهم غير مؤتمنين على أنفسهم؟ فإذا دعا زكريا ربـه أن يـرزقه الولد ليرث النبوة من بعده ، فسوف يغضب هؤلاء من دعاء زكريا ويعادونه ؛ لذلك جاء دعاؤه خفياً يُسِرُّه بينه وبين ربه .

سؤال آخر تنبغي الإجابة عليه هنا : لماذا يطلب زكريا الولد في هذه السن المتأخرة، وبعد أن بلغ من الكِبَر عتياً ، وأصبحت امرأته عاقراً ؟ لقد أوضح زكريا عليه السلام العلة في ذلك في الآيات القادمة ، فقال : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ .. ﴾ [سورة مريم] . إذن : فالعلة في طلب الولد دينية محضة ، لا يطلبه لمغنم دنيوي ، إنما شغفه بالولد لأنه لم يأمن القوم من بعده على منهج الله وحمايته من الإفساد . لذلك فقوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي ﴾

هـــنا لا يُفهم منه ميراث المال كما يتصوره البعض ؛ لأن الأنبياء لا يُورثون ، كما قال الـــنبي ﷺ : " نحن معاشر الأنبياء لا نُورث ما تركناه صدقة " وبذلك يخرج النبي من الدنـــيا دون أن ينـــتفع أحد من أقاربه بماله ، حتى الفقراء منهم . فالمسألة مع الأنبياء خالصة كلها لوجه الله تعالى .

لذلـــك قال تعالى بعدها : ﴿ وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ .. ۝ ﴾ [ســـورة مريم] أي : النبوة التي تناقلوها ، فلا يستقيم هنا أبداً أن نفهم الميراث على أنه ميراث المال أو متاع الدنيا الفاني . ومن ذلك قوله : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ .. ۝ ﴾ [النمل]

القرآن عصمة

إن الله جلت قدرته ، أكرمكم وأتم عليكم نِعَمَه بنعمة كبرى ، تلكم هي نعمة الله القرآن ، وكبرى معجزات محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . فلقد أنزله الله على رسوله ، ليُخرج الناس به من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهدى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص] ، أنــزله ليُعرّف الناس بخالقهم وليُعرفهم بأنفسهم : أنهم عباد مربوبون مكلفون : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿٣﴾ ﴾ [يونـــــس] ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات].

أنزله بشيراً ونذيراً ، بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾ [الكهف] ، أنزله ليكون المحكّم في جميع شؤون المسلمين ، أياً كانوا ، وأين كانوا: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة] .

أنزله تعالى عصمة ونجاة لمن تمسك به : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طــه] . أنزله حجة على العالمين ، وآية على صدق رسالة عـــبده محمد بن عبد الله الصادق الأمين : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[العنكبوت] .

أنزله لتلكم الأمور ولغيرها ، وبأرفع أسلوب ، وأروع بيان ، وأجمع معنى عرفته لغات البشـــر جمعاء . ولا غرو أيها المسلمون أن يترل القرآن بأروع لفظ وأجمع معنى وأفصح بيان ، فهو كلام الله جل جلاله ، الذي تكلم به ، وأنزله تشريعاً خالداً ، ثابتاً ، لا يُغير أو يتغير : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجــر] ، لاغـــرو فهو حجة الله على عـــباده ، وآية رسول الله ومعجزته التي تحدى الله بها أمراء البلاغة وفحول البيان على أن يأتوا بمثله فعجزوا ، ثم بعشر سور مثله فنكصوا ، ثم بآية فانقطعوا ، وصدق الله العظيم

إذ يقـــول : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء] .

يـــروي أحد المفسرين أن الوليد بن المغيرة أحد المشركين استمع إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ : ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [غافـــر] ، فلما فطن له رسول الله ﷺ أعاد قراءتها ، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال : والله لقـــد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ، لا هو من كلام الإنس ، ولا هو من كلام الجن ، إن لـــه لحـــلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مُغْدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته .

ولا عجـــب أن يشـــهد هذا الطاغية بهذه الحقيقة ، فمستوى القرآن البلاغي فوق ذلكـم ، بل فوق كل معارضة ومعاندة . وها هو يُتلى من مئات السنين ، فلا يشبع منه عالم ، ولا يمل منه تالٍ أو سامع متدبر ، ولا يَخْلَق مع كثرة الردّ ، بل يزداد بروزُ معانٍ جديـــدة وحِكَـــم وأسرار تتجلى بكثرة تكراره ، أودعها فيه مَنْ جعله تشريعاً وديناً ونظامـــاً للبشـــرية جمعاء إلى أن تقوم الساعة . فلا عجب ، فمَنْ جعله بهذه الصفة هو خالق البشرية والعالِم بنفسياتها ومتطلباتها وطبائعها في كل زمان ومكان .

أيهـــا المسلمون ، إن بين ظهرانيكم لَكنزاً عظيماً لا ينفد ، ومَنْهلاً عَذْباً صافياً لا ينضـــب ولا يأسن أبداً ، بين ظهرانيكم هذا القرآن الكريم الذي جعله الله لكم مخرجاً من كل فتنة ، ونجاة من كل بلية ، جعله لكم هدى ونوراً ورحمة وشفاءً وبركة ، جعله خـــيراً محضاً ، فتلاوته واستماعه طاعة لله ، والعمل له والدعوة إليه طاعة لله ، وإنكم اليوم لفي زمن فتن عظمى ، تموج أعاصيرها كموج البحار : فتن شهوات وشُبهات ، فـــتن قيل وقال ، فتن كقطَع الليل المظلم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنه لا سلامة لكـــم ولا نجـــاة إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، بالقرآن الكريم قولاً

وعمـــلاً واعتقاداً ، بالعمل بمحكمه ، والإيمان بمتشابهه ، والتصديق بأخباره ، فهو حبل الله القائم بينكم وبينه ، إن تمسكتم به وصلتم إلى الله ، وإن أفلتموه انقطعتم عن الله .

فاتقوا الله وتمسّكوا بكتاب ربكم تمسكاً صادقاً تُرَى آثاره في أعمالكم وأقوالكم ، في آدابكـــم ومعـــاملاتكم ، في إقبالكم عليه تلاوةً ودعوةً ، وتعلماً وتعليماً ، وتحاكما وتحكـــيماً ، في كل شأن من شؤونكم أياً كان : اجتماعياً ، أو اقتصادياً ، أو ثقافياً ، أو عسكرياً . فلا يصح أن يُحكّم بعض القرآن ويُعطّل بعضه ، كما لا يصح أن يُؤمن ببعضه ويُكفر ببعضه ، فخذوا به جملة وتفصيلاً ، فما هو إلا التمسك به والنجاة ، أو الإعراض عنه والهلاك . يقول ﷺ فيما رواه أبو داود : (إني تارك فيكم ما لن تضلوا إذا اعتصمتم به : كتاب الله وسنتي) .

ويقـــول ﷻ: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه]

من عوائق الحفظ

هناك بعض الأسباب التي تمنع الحفظ ، وتؤدى إلى نسيان القرآن ، والعياذ بالله ولا بد لمن أراد أن يحفظ القرآن الكريم أن ينتبه لها ، وأن يتجنبها .. و فيما يلي أهمها :

١- كثرة الذنوب والمعاصي ، فإنها تُنسي العبدَ القرآنَ ، وتُنسيه نفسه ، وتُعمي قلبه عن ذكر الله وتلاوة وحفظ القرآن .

٢- عدم المتابعة والمراجعة الدائمة والتسميع لما حفظه من القرآن الكريم .

٣- الاهتمام الزائد بأمور الدنيا يجعل القلب معلقاً بها ، وبالتالي يقسو القلب ، ولا يستطيع أن يحفظ بسهولة .

٤- حفظ آيات كثيرة في وقت قصير ، والانتقال إلى غيرها قبيل إتقانها .

٥- الحماس الزائد للحفظ في البداية مما يجعله يحفظ كثيراً دون إتقان ، ثم إذا وجد نفسه غير متقن فَتَر عن الحفظ وتركه .

كيف تعالج النسيان ؟

أســـأل الله أن يحببك للقرآن ، و يُحبب القرآن إليك ، وأن يجعله في السويداء من قلبك ، حافظاً له ، عاملاً به ، مؤنساً لك

١ اللجوء إلى الله ﷻ بالدعاء و التضرع إليه أن يلزم قلبك حفظ كتابه والعمل به على الوجه الذي يرضيه عنك .

٢- أخلص النية إلى الله تعالى ، و تعبّد ربك بتلاوته .

٣- اعزم على العمل به بفِعْل أوامره و اجتناب نواهيه .

٤- تعهّد القرآن بالتلاوة ؛ وحسّن صوتك به .

٥- اجعل لك حزباً تقرؤه كل يوم بمقدار حفظك ، فمثلاً إذا كنتَ حافظاً للقرآن املاً فأقلّ ما تقرؤه في اليوم جزء .

٦- اعمل بأمر هذه الآية و هي تطلع نفسك للثمرة ..قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة] .

٧- و أخيراً .. احذر احذر احذر :

أ - العُجْب و الرياء .

ب- أَكْل الحرام و المتشابه .

ج - الاستهزاء بالآخرين ممن لا يحفظ ، أو لا يعرف يقرأ .

د - المعاصي و الذنوب كبيرها و صغيرها .

٥- ترك المداومة و التعهد بقراءته ، و لو كنت بأصعب الظروف ، و لو حصل مثل ذلك فبادر بالقضاء .

أسأل الله أن يحببك للقرآن و يحبب القرآن إليك و أن يجعله في السويداء من قلبك حافظاً له عاملاً به مؤنساً.

كيف تحفظ القرآن

سنعرض فيه إلى خمسة جوانب :

أولاً : الأسس العامة

ثانياً : الحفظ

ثالثاً : المراجعة

رابعاً : الروابط و الضوابط

خامساً : اختلافات و فروق

أولاً : الأسس العامة

أولاً : الأسس العامة التي لا غِنَى لك عنها ، ولا مجال لتطبيق ما بعدها إلا بها وفي غالب الظن أنه لا نجاحَ إلا بتأملها وتحقيقها ، وهي أمور كثيراً ما نتذكرها ونُذكّر بها ، وهي أسس ينبغي ألا نغفل عنها في هذا الموضوع ، وفي غيره.

أولاً : النية الخالصة

فنحن نعلم أن مفتاح القبول والتيسير إخلاص القصد لله ﷻ ، وأن كل عمل يفتقر إلى الإخلاص لا يُؤتي ثمرته ، وإن آتى بعض ثماره فإن عاقبته في غالب الأحوال تكون فجة ، وثماره تكون مُرّة ، أضف إلى أنه يُحرم من أعظم ما يأمله المرء ، وهو القبول عند الله ﷻ وحصول الأجر والثواب ، فلذلك لا بد لكي يسهل ويُعان المرء عليه أن يخلص لله ﷻ .

ثانياً : السيرة الصالحة

يقول جل و علا : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٢٨٢﴾ [البقرة] ونعلم جميعاً ما يُؤثر عن الشافعي من قوله :

شَكَوْتُ إلى وكيع سوء حفظي	فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور	ونور الله لا يؤتاه عاصي

ونعلم ما أُثِرَ عن ابن مسعود ﷺ : " إن الرجل لَيُحرم العلمَ بالذنبِ يصيبه "، فنحن نعلم أن الحفظ على وجه الخصوص يحتاج إلى إشراقة قلب ، وإلى توقد ذهن والمعصية تطفئ نور القلب ، ويحصل بها التبلد بالعقل ، ويُحرم بها العبد من التوفيق أيضاً. فإذاً لا بد أن نستعين على طاعة الله بطاعة الله ، وأن نجعل طريقنا إلى نيل بعض هذه الأمور من الطاعات والمندوبات والمسنونات وأمور الخير أن نجعل طريقنا إليها طاعة لله ﷻ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة] نتيجة عملية تلقائية ، لأن

القلب يشرق حينئذٍ بنور الإيمان ، والنفس تطمئن إلى ما حباها الله عز و جل من السكينة والطمأنينة ، فيتهيأ الإنسان حينئذٍ لهذا العمل العظيم ، حفظ القرآن الكريم.

ثالثاً : العزيمة الصادقة

فإن المرء الذي يعتريه الوهن ، ويعترضه الخَوَر ، ويغلب على حياته الهزل ، ويميل في كثير من أموره إلى الكسل ، فإنه لا يمكن أن يُعوّل عليه ، ولا يُظن أنه يصل إلى النتيجة المرجوة في حفظ كتاب الله ﷻ . فهذا أمر يحتاج أن يُشَمّر له عن ساعد العزم ، ولا بد له أن يقلل من أمور الراحة ، فيخفف من نومه ، ويزيد من عمله ، ويكثر من قراءته ، و غير ذلك من الأمور التي لا بد لها من همة وعزيمة صادقة قوية ماضية ، لا تستسلم عند أول عارض من العوارض ، ولا تقف عند أول عقبة من العقبات.

رابعاً : الطريقة الصائبة

وهي جزء مما سيأتي حديثنا عنه ، غير أني أريد أن أشير إلى أن بعض الإخوة عندما يسمع حَثّاً على حفظ القرآن ، أو يتشوق إلى ذلك فيبدأ بحماسة مندفعة ببداية غير صحيحة ، غالباً ما تُسلمه إلى العجز والكسل ، أو تصدمه بعدم القدرة على الاستمرار. كمن يبدأ مخلطاً سورة من هنا وسورة من هنا ، وجزءاً منفرداً . أو مقاطع متقطعة ، وهو يرغب بعد ذلك أن يصل بينها ، وأن يصل بها إلى حفظ القرآن الكريم كاملاً .

فغالباً ما يتشوش مثل هذا العمل ، وغالباً ما ينقطع عنه ، وكثيراً ما يفتقد ما حفظ منه، وذلك لأن الجزء الواحد أو القطعة الواحدة لا تغري المرء إذا كانت منفصلة بأن يحافظ عليها ، لأنها وحدها ، وليس لها ارتباط بما قبلها ولا بعدها ، وإن كان في ذلك خير ولا شك ، وليس في هذا الكلام ما نريد به أن نصرف أحداً أن يحفظ سورة بعينها ، أو بعض السور بعينها ، أو الأجزاء بعينها كاملة . ولكننا نتحدث عن من يريد أن يحفظ حفظاً كاملاً على طريقة صائبة ، ومن ذلك أيضاً أن بعض الناس يبدأ ويشرع دون أن يستشير أو يسأل مَن حفظ قبله ، أو من هو مشتغل بالتحفيظ والتدريس في هذا الميدان ، فكما أنك

تحـــتاج إلى المشورة في أي عمل من أعمال الدنيا ، أو إلى أى مدخل من مداخل العلوم و الدراسة التي يدرسها كثير من الناس ، فأنت بحاجة إلى هذا في هذا الأمر أيضاً.

ومـــن ذلك أيضاً البرنامج الواضح ، فعندما نقول إن هناك طريقة صائبة ، فإنها هي الـــتي تحفظ بإذن الله تلك العزيمة التي تستمر وتمشي وتمضي عندما يكون هناك برامج و مراحل ، نقطة بعد نقطة ، مرحلة بعد مرحلة. أما خطة عشواء أو أجزاء متقطعة ، أو مراحل منفصلة ، فإن ذلك في غالب الأمر لا يصل إلى مبتغاه .

﴿ خامساً : الاستمرارية المنتجة ﴾

فهذا أمر قد يطول أمده وزمانه ، وقد يعظم جهده وبذله لأجل الوصول إليه ، فإن كنت قصير النفَس ، فإنك في غالب الأمر لا تبلغ الغاية ، فأنت تحتاج إلى استمرار يثمر و ينتج بإذن الله ﷻ.

وحديـــث الـــنبي ﷺ يحضرنا في هذا المقام ، عندما سُئِل النبي ﷺ : أيُّ الأعمال أحـــب إلى الله ؟ قال : أدومها وإنْ قَلّ . وقال : اكْلَفُوا من الأعمال ما تطيقون (رواه البخاري) . فقليل دائم خير من كثير منقطع . لا تبدأ البداية الكبيرة التي قلنا عنها ، ثم تـــنقطع ، أو لا تـــبدأ ولو بداية يسيرة ثم تتوقف ، و كما أُثِرَ أيضاً عن الأجر والفضل الذي يكون للحَالّ المرتحل ، فقد سُئِلوا عن الحَالّ للمرتحل. قيل : هو الذي يختم القرآن ثم يشرع فيبدأ به من جديد ، فهنالك استمرارية واتصال ودوام ، فالاستمرار هو الذي تحصل به نتيجة بإذن الله ﷻ .

فـــإذاً لا بد من : نية ، وسيرة ، وعزيمة ، وطريقة ، واستمرارية ، هذه أسس لا بد منها قبل أن نبدأ ، أو أن نشرع فيما يتعلق بالتفصيل و التفريغ.

ثانياً : الحفظ

الأمـــر الثاني : الحفظ ، وهو جوهر هذا الموضوع ، والحديث فيه عن الطريقة وعن الشروط اللازمة ، والعوامل المساعدة ، ونبدأ بالطريقة .

﴿ أولاً : الطريقة ﴾

مـــن خـــلال الـــتجربة ، ومن خلال ما نرى من عمل كثير من طلاب التحفيظ والحافظين يمكن أن نرى أو نلقي الضوء على طريقتين اثنتين :

۞ الطريقة الأولى ۞

إحداهمـــا : طريقة الصفحة ، نعني بذلك أن يقرأ مريد الحفظ الصفحة كاملة من أولها إلى آخرها قراءة متأنية ، صحيحة ، ثلاث أو خمس مرات بحسب ذاكرة الإنسان وقدرته على الحفظ ، فإذا قرأها هذه المرات الثلاث أو الخمس قراءةً فيها استحضارُ قلب وتركيزُ ذهن وعقل ، وليس مجرد قراءة لسان فقط ، إنما قد جمع قلبه وفكره لأنه يريد من هذه القراءة أن يحفظ.

فإذا أتم الثلاث أو الخمس أغلق مصحفه ، وبدأ يسمع صفحته ، وقد يرى بعضكم أن هذا لن يتم أو لن يستطيع حفظها بقراءة الثلاث أو الخمس ، أقول نعم. سيكون قد حفظ من أولها ومضى ثم سيقف وقفة ، أن يفتح مصحفه وينظر حيث وقف فيستعين، ويمضي مغلقاً مصحفه ، ثم سيقف ربما وقفة ثانية ، أو ثالثة ثم لِيُعِدْ تسميع الصفحة .

ما الذي سيحصل ، الموضع الذي وقف به أولاً لن يقف فيه ثانية ، لأنه سيكون قد نُقِش في ذاكرته ، وحُفِر في عقله ، فستقل الوقفات. وغالباً من خلال التجربة سيسمع المـــرة الأولى ثم الثانـــية ، وفي الغالب أنه في الثالثة يأتي بالصفحة محفوظة كاملة بعد أن يقـــوم بمجموع ما قرأه ثمان مرات ، ثلاث أو خمس في القراءة الأولية المركزة ، ثم يبدأ بـــالخطوة الثانية بتسميع هذه الصفحة ، وسيقف كما قلت بعض الوقفات في أول مرة وفي المرة الثانية ، وفي الغالب أنه في الثالثة لا يقف .

ماذا يصنع في الخطوة الثالثة ، أن يكرر التسميع الصحيح الذي أتمه في المرة الأخيرة ثلاث مرات تقريباً. فحينئذ يكون مجموع ما قرأ به هذه الصفحة في ذلك الوقت تسع مرات ، أو أحد عشر مرة .

إذاً يقرأ الصفحة قراءة مُركّزة صحيحة ثلاث أو خمس مرات ، ثم يسمعها في ثلاث تجـــارب ، أو ثلاث محاولات ، ثم يضبطها في ثلاث تسميعات. وبذلك سوف تكون الصفحة محفوظة حفظاً جيداً متيناً مكيناً إن شاء الله .

مـــا مزية هذا الحفظ أو هذه الطريقة ؟ مزيتها أنك لا تتتعتع أو تتوقف عندما تصل الصفحات بعضها ببعض بعد ذلك ؛ لأن بعض الإخوة يحفظ آيات منفصل بعضها عن بعـــض ، مـــا الذي يحدث ؟ عند كل آخر آية يقف حمار الشيخ في العقبة ويحتاج إلى دفعـــة فتعطيه أول كلمة من الآية التي بعدها فينطلق كالسهم حتى يبلغ آخر الآية التي بعدها ، ثم يحتاج إلى توصيلة أخرى و هكذا .

أمـــا الصـــفحة فهـــي كاللوح أو كالقالب يحفظها في قلبه ، ويرسمها في مخيلته ، ويتصـــورها أمامه من مبدئها إلى منتهاها ، ويعرف غالباً عدد آياتها ، آية كاملة صفحة كاملة ، بعض الصفحات ، آيتين وبعضها ثلاث ، وبعضها آيات كثيرة ليس بالضرورة تصـــوّرها ، ولكـــن هـــذه الطـــريقة تجعله ، أولاً يأخذ الصفحة كاملة بلا توقف ، يستحضـــرها تصـــوراً فيعينه ذلك على حفظها ، ثم يتصورها كما قلت : هل هي في الصـــفحة الـــيمنى أو اليسرى ، بأي شيء تبتدئ ، وبأي شيء تنتهي وتحكم الصفحة بإذن الله ﷻ إحكاماً جيداً .

۞ الطريقة الثانية ۞

طـــريقة الآيـــات أو الآية ، لا بأس بها ، وإن كنت أرى أن الطريقة الأولى أفضل مـــنها. مـــا هي هذه الطريقة ، هي أن يقرأ الآية مفردة قراءة صحيحة مرتين أو ثلاث مرات ، نفس الطريقة ، لكن بآية واحدة ، وطبعاً لما كانت آية لا نحتاج أن نعيدها من

ثلاث إلى خمس ، مرتين فقط أو ثلاث ، ثم يُسَمّع هذه الآية ، ثم يمضى إلى الآية الثانية فيصـــنع بهـــا صـــنيعه بالأولى ، لكنه بعد ذلك يُسَمّع الأولى والثانية ، ثم يحفظ الثالثة بالطريقة نفسها ، يقرأها ثم يُسَمّعها منفردة ، ثم يُسَمّع الثلاث من أولها الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ، ثم يمضي إلى الرابعة إلى آخر الصفحة.

ثم يكـــرر تســـميع الصفحة ثلاث مرات. وحذار في هذه الطريقة أن ترى أن الآية الأولى قد أكثرتَ من ذكرها فلا حاجة لتكرارها ، بعضهم إذا بلغ نصف الصفحة قال النصـــف الأول مضبوطاً ، فلا يحتاج إذا حفظ الآية في النصف الثاني أن يعيد النصف الأول إلى الأخـــير. هنا لا يقف حمار الشيخ في العقبة في منتصف الصفحة وثِقْ من هذا تمامـــاً وجربه تراه شاهداً على كلامي . لا بد كل آية تُحفظ في الصفحة أن تُعاد من الأول إلى حيث بلغ ، حتى يُتِمّ الصفحة ، ثم يأتي بها ثلاث مرات تسميعاً كاملاً .

تختلف هذه الطريقة عن الأولى أنها أبطأ في الغالب . فهي أبطأ في الوقت فالصفحة في الطريقة الأولى تستغرق بالمعدل نحو عشر دقائق ، قد يقول قائل العَشْر قليلة ، أقول عشر دقـــائق إذا كـــان يـــريد أن يحفظ ، أما إذا كان ينظر في الغادين والرائحين والمتشاكلين والمتضـــاربين ويســـمع هذا و.. هذا ولا مئة دقيقة و لا عشرة أيام يحفظ فيها شيئاً. أما الثانية فهي أبطأ ، والغالب أنها تستغرق نحو خمس عشرة دقيقة لأنه سيكرر كثيراً .

أمـــا مـــن حيـــث التطابق ، فآخر الأمر أنه سيحفظ الصفحة كاملة ، ولكن هذه الطريقة أضعف إذا لم يصل الآية بالآية سيكون هناك ذلك التوقف الذي أشرتُ إليه ، إذاً هـــذه الطـــريقة من حيث الأصل حفظ الصفحة ، أو حفظ الآية ، ففي آخر الأمر ستعود النتيجة إلى حفظ الصفحة .

أنتقل إلى النقطة الثانية وهي نقطة مهمة مكملة ، وهي الشروط اللازمة .

ثانياً : الشروط اللازمة

الشروط اللازمة لكي تكون هذه الطريقة صحيحة سواء اخترتَ الطريقة الأولى أو الثانية لابد من هذه الشروط .

الشرط الأول : القراءة الصحيحة

من الأخطاء الكثيرة أن كثيراً ممن يعتزمون الحفظ ، أو يشرعون فيه يحفظون حفظاً خاطئاً. لابد قبل أن تحفظ أن يكون ما تحفظه صحيحاً ، وهناك أمور كثيرة في هذا الباب ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

أولا: تصحيح المخارج :

إن كنتَ تنطق ثم "سم" أو الذين "الزين" فَقَوِّم لسانك قبل أن تحفظ ؛ لأنك إذا حفظتَ وأدمنتَ الحفظ بهذه الطريقة ، وواظبت فستكون جيداً في الحفظ لكنك مخطئاً فيه.. فلابد أولاً من تصحيح المخارج وتصحيح الحروف لا بد منه.

ثانياً: ضبط الحركات:

بعض الإخوة .. إما لضعف قراءته ، أو لعجلته يخلط في الحركات ، وهذا الخلط لا شك أنه خطأ ، وأنه قد يترتب عليه خلل في المعنى . وذلك ليس موضع حديثنا ، ولكن لا بد أن يتنبه المرء له ، وأن يحذر منه ، ومن ذلك أن اللغة العربية فيها : تقديم وتأخير ، وفيها إضمار وحذف وتقدير ، وفيها إعرابات مختلفة، فأحيانا بعض الناس لا يتنبه مثلاً لتقديم المفعول على الفاعل ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة|-- بعضهم يحفظها ﴿ إبراهيمُ ﴾ ربُّهُ أو ربَّهُ بالنسبة له أحياناً قد لا تفرق ، وما حفظته خطئاً فَثِقْ تماماً أن هذا الخطأ يثبت ، وبعد ذلك تصعب إزالته ، يحتاج إلى عملية استئصال ، مثل الذي يبني بناء ، ثم يتبين له أن هذا البناء خطأ لابد له أن يُهدم وأن يصحح البناء ، لابد أن يزيل الخطأ ، ثم بعد ذلك يصحح من جديد . لماذا تكرر الجهد مرتين ؟ و تعيد العمل مرتين ، ابدأ بداية صحيحة.

وهناك أمثلة كثيرة في مسألة ضبط الحركات ، فإن هناك كثيراً من الأمثلة التي تقع في هذا الجانب ، كما في الضمائر أيضاً. الضمائر عندما يقع الخلط فيها أيضاً يقع خلط في الحفـــظ غـــير مقبول مطلقاً ، كما يكون الضمير بالضم فيكون للمتكلم أو يكون بالفتح للمخاطب ، كما في قوله تعالى :

﴿ **وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾** ﴾ [المــائدة]- التاء في الضميرين الأولين مضمومة ، وفي الضميرين الآخــريْن مفــتوحة ، فــأيُّ تغيير بالحركة يغير المعنى كما يقرأ البعض (و كنتُ أنت الرقيــب علــيهم) ما يمكن أن تستقيم أبداً ، وهكذا الكثير من الكلمات و الحركات تحتاج إلى الضبط ابتداءً قبل أن يخطىء فيها.

ثالثاً : ضبط الكلمات :

وهو أشد وأخطر ، الحركات منظورة يمكن أن يراها الإنسان ، ولكن بعض الكلمات إمــا لصــعوبتها ، أو لأن هذا الحافظ لم يأخذ الأسلوب الذي سأذكره لاحقاً ، أو ليس متمرســاً في تلاوة القرآن فإنه يحفظ الكلمة خطأً .. ومن هذا قول الله ﷻ : ﴿ **وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾** ﴾ [القـــلم] - سمعــت مَرّة من يقرؤها " ليزقلونك "، السبق بين الحروف يحصل عندما يراها رؤية سريعة وهـــو لا يعرفها فتثبت على هذه الطريقة ، أحياناً بعض الكلمات ﴿ **أَنُلْزِمُكُمُوهَا** ﴾ [هود ٢٨] قد يستثقلها ويقرأها قراءة خاطئة وتختلف الحروف بهذه الطريقة .

كذلك بعض الكلمات التي ربما ليس في القرآن إلا مثال واحد منها :

﴿ **أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾** ﴾ [يونـــس] - يقـــرؤها " **أم من لا يَهْدِي** " لأنها كلها في القرآن يَهْدِي ، وما فيها يَهِدّي فينتبه إلى مثل هذه الكلمات.

كذلك ما يتعلق في الرسم ، ففي البقرة ﴿ **فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴿١٥٠﴾** ﴾ أما في المائدة

(٣) ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾ لـيس فـيها ياء وإنما كسرة ، هذه أيضاً مواطن مما قد يحفظـه ابـتداء حفظاً خاطئاً ويقع بهذا في أخطاء. و كذلك بعض الكلمات التي هي في مواضع بضبط معين وفي مواضع أخرى بضبط آخر مثل : ﴿سِخريا﴾ و ﴿ سُخريا ﴾ قد يحفظهـا تمـر علـيه الآية الأولى ، فتقرأ سُخريا فكلما مرّت قال سُخرياً و لم يفرق بين سُـخريا وسِـخريا وغيرها من المواضع التي فيها مثل هذه الأمثلة ، كما أيضاً في الجمع والتثنية ، مثل قول الله سبحانه : ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصـلت] - و ليس الَّذين ، بعض الناس يقول الذين متعوداً نطقها هكذا ، نادراً أو قليلاً ضمير التثنية ، فيقول : (الَّذينَ) .

ولا ينتبه لمثل هذا إذا كان غير متمرس أو كان متعجلاً ، وغير ذلك كثير أيضاً كما أشرت في الأمثلة ، إنما هي للتقرير ، كما في قوله ﷻ : ﴿ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الحشـر] ولـيس (خالدِين) فيها ، بل خـالدَيْن بالتثنـية وليس بالجمع ، فإذاً لابد أيضاً من ضبط الكلمات حتى لا يحفظها حفظاً خاطئاً. والأمثلة في ذلك كما قلت كثيرة جداً.

رابعاً : ضبط خواتيم الآيات :

مـع السرعة و العجلة قد لا ينتبه فيحفظ حفظاً خاطئاً ﴿ وهو العزيز الرحيم ﴾ ما قـرأها بـنظره قـرأها ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ ، وهكذا مضى عليها فحفظها ، هذه واضحة ، لكن أحياناً كما هو في التجارب أن الذي يحفظ يستشهد ، ويظن أحياناً أن هـذه الآيـة في ذهنه قد سمعها ، أو قد أدمن قراءتها ، وهي في ذهنه أنها ﴿وهو العزيز الحكـيم ﴾ فيقولها هكذا ، ويظن أنه قرأها وهو ما قرأها ، وما مر ببصره عليها ، بل ربمـا يمر ببصره عليها ، وقد سبق في ذهنه أنها كذا و لا يقرأ المكتوب بل يُثبت ما في الذاكـرة عنده أو ما يسمعه أو ما يظنه أو يتوهمه ، فينبغي أن يضبط ذلك حتى تكون القـراءة صحيحة قبل أن يحفظ شيئاً خاطئاً ، وكما نبهت فإن الحفظ الذي فيه خطأٌ ،

خطأ. فالحفظ الذي فيه أخطاء هو حفظ فيه خطأ، فطريقته خطأ ؛ لأنه يبقى ويستمر ويصعب تغييره في كثير من الأحوال.

كيف نحقق هذه القراءة الصحيحة ، الأصل أيها الإخوة الأحبة أن القارىء والحافظ لابد أن يقرأ على شيخ متقن ، تلقى القرآن تلقياً بالمشافهة ، وهذا هو الأصل في تلقي القـــرآن ، لَقّنه النبي ﷺ صحابته ، والصحابة لمن بعدهم ، فليس القرآن كتاباً يُقرأ مثل غـــيره مـــن الكتب ، ففيه رسم و فيه بعض الأمور التي ذكرتها الآن من تقديم وتأخير وكـــذا ، وفيه قراءات ، وفيه بعض الكلمات التي تُرسم بطريقة وتُنطق بطريقة ، وفيه أحياناً آيات أو كلمات تُقرأ بوجهين ، هذا كله لايتيسر لك بمجرد القراءة ، الأصل أن تكـــون مُتَلَقّىً عن شيخ قد أتقن وتعلم فتكون قراءتك صحيحة ، فهو الذي يقرأ لك الصَفحة أولاً ويصححها لك ، ثم تمضي بعد ذلك وتطبق الطريقة التي قلناها .

الخطـــوة الثانية إذا كنت تلقيتَ التجويد وتلقيتَ القراءة وأحسنتها بمعنى أنك من ناحية القراءة النظرية جيد ، وتُحسن القراءة و لاتسقط ، فلا بأس بأن تبدأ بتطبيق هذه الطـــرق الأولى أو الثانية ، لكن لابد أن تكون قد أتقنتَ القراءة وعرفتها و قرأتَ إما خـــتمة كاملة ، أو قرأتَ معظم القرآن ، وذلك مما يضبط لك هذا الجانب ، هذا أول الشروط التي لا بد منها لتَكمُل لك طريقة الحفظ الصحيح .

۞ الشرط الثاني: الحفظ المتين ۞

الحفـــظ الجديد لا بد أن يكون حفظاً متيناً ، لا يُقبل فيه خطأ ، ولا أقل من الخطأ ولا وقفـــة ولا تعـــتعه ، الحفظ الجديد أعني ، إذا أردت أن تحفظ صفحة جديدة إن لم يكن حفظك لها أقوى – مبالغة – من حفظك للفاتحة ، فلا تَعُد نفسك قد حفظتها ، لمـــاذا ؟ لأن الحفـــظ الجديد هو مثل الأساس ، الآن إذا جئت بأساس البناء و تعجلتَ حيثما اتفق سوف ينهد البناء فوق رأسك يوماً ما.

والحفـــظ الجديد إذا قبلتَ فيه بالخطأ والخطأين ، أو التعتعة أو الوقفة فَثِقْ تماماً أنك

كـــالذي يـــبني الرجاء على شفير الهاوية ، يعني كأنك متأرجح ، فإذا كنتَ في البداية مـــتأرجحاً كـــيف ســـتبني على ما بعده ، كيف تريد أن تكون هذه الصفحة بعدها صـــفحات وصفحات ، لا يمكن . لا ينبغي الترخص مطلقاً في ضبط الحفظ الجديد ، ولو أخذت بدل الدقائق العشر التي ذكرناها عشرين أو ثلاثين أو أربعين.

المهـــم لا تنـــتقل مـــن حفظك الأول حتى تتقنه إتقاناً كما قلتُ مبالغةً أكثر من إتقانك للفاتحـــة ، لو قلتُ لأحدكم الآن سَمّع الفاتحة فسَمَّعها بكل سهولة و يسر، بل لو كان نائماً وحـــلم وقـــرأ الفاتحة لن يخطِىء فيها ، لماذا ! لأن الفاتحة قد أدمن قراءتها وحفظها أكثر من حفظه اسمه ، لابد أن يكون الحفظ الأول مثل ذلك كما قلتُ ، دون أخطاء ، ودون عجلة.

۞ الشرط الثالث : التسميع للغير ۞

وهـــذا الذي سيكشف لك الأخطاء التي ذكرتُها ، بعض الناس يُسَمّع الصفحة الأولى لـــلمرة الثالثة ، فيخرج مطمئناً منشرحَ الصدر مسروراً ، وهو قد حفظ ولكن هناك بعض الأخطـــاء مما أشرت إليها ، كيف يكتشفها ، لا يستطيع أن يكتشفها ، يعيد مرة ثانية في الـــيوم الـــتالي صفحته ويُسَمّعها بخطئها ، والمصحف أمامه ، لماذا ؟ لأنه تصور أنه حفظ حفظـــاً صـــحيحاً. الذي يكشف لك ذلك أن تُسَمّع الصفحة لغيرك ، فمهما كنتَ حَادّ الذكـــاء ، وتتمتع بحدة الذهن وسرعة الحفظ فلابد أن تُسَمّع لغيرك ، بأن تعطي المصحف لغـــيرك ليســـتمع لك ، وهذا أمر لا بد منه . لا بأس قد لا تجد مَنْ يُسَمّع لك الصفحة إذا حفظتها ، أو الصفحتين أو الثلاث لا بأس ، لكن لو جمعتَ خمساً من الصفحات أو عشراً مـــن الصفحات سمعها لغيرك ، هنا لا زال هناك مجال للاستدراك ، أما بعد أن تحفظ عشرة أجزاء تأتي وتُسَمّع وعندك من الأخطاء ما الله به عليم ، هذا لا يمكن أن يكون مقبولاً .

۞ الشرط الرابع : التكرار القريب ۞

الحفظ بالحفظ ، لو أنك صَوّبته وصححته ، ولو أنك مَتّنْتَه وقَوّيته ، ولو أنك سَمّعْته وقرأته ، لا يكفي فيه ذلك حتى تكرره في وقت قريب ، ما معنى الوقت القريب، أى في

يومــك الــذي حفظتَ به الصفحة ، لو حفظتها بعد الفجر ، إذا تركتَها إلى فجر اليوم الــتالي ستأتي إليها ، وقد أصابتها هينات واعتراها بعض الوقفات ، ودخلت فيها بعض المتشابهات مما قد حفظته قبلها من الآيات ، لابد أن تكرره في الوقت نفسه .

في ذلــك اليوم الصفحة الجديدة ، بعد التسميع الذي ذكرته ثلاث مرات ، على أقل تقديــر أن تُسَمّع الصفحة خمس مرات في ذلك اليوم ، وسأذكر كيف يمكن تطبيق ذلك دون عــناء و لا مشقة ، لأن بعض الإخوة يقول هذا يريد أن نجلس في المسجد من بعد الفجــر إلى المغــرب حتى نطبق هذه الطرق التي يقولها. أذكر مثالاً عن أن الحفظ الذي تــتركه و لا تكــرره يسرع في التفلُّت ، ففي ترجمة ابن أبي حاتم أن الإمام ابن أبي حاتم رحمــة الله علــيه كــان يقرأ كتاباً يريد أن يحفظه ، فكان يقرؤه بصوت عالٍ ويكرره ، وعنده عجوز بالبيت ، وهو يكرر الكتاب المرة الأولى والثانية و الثالثة والعاشرة ، فَمَلّتْ مــنه ، قالت : ما تصنع يا هذا ؟ قال : إني أريد أن أحفظه ، قالت : ويحك ، لو كنتَ تريد لقد فعلت ، فإني قد حفظته ، فقال : هاتيه ، فَسَمّعت له الكتاب من حفظها سماعاً فحفظــته ، قال : و لكني لا أحفظه حتى أكرره سبعين مرة. يقول : فجئتها بعد عام . فقلت لها: هاتي ما عندكِ من الكتاب، فما أتت منه بشيء ، أما أنا فما نسيتُ منه شيئاً .

لا تــنظر للوقــت القريب ، بل انظر للمدى البعيد ، فأنت تريد أن تحفظ شيئاً لا تنساه بإذن الله ﷻ .

۞ الشرط الخامس : الربط بما سبق ۞

فالصــفحة مثل الغرفة بالشقة ، ومثل الشقة في العمارة ، يعني : لا يمكن أن تكون هناك صفحة وحدها ، لا بد أن تربطها بما قبلها ، و بما بعدها ، وسيأتي لنا حديث عن الربط لاحقاً. إذاً ، هذه هي الطريقة ، ثم هذه هي الشروط اللازمة .

ثالثاً : العوامل المساعدة

ننتقل إلى العوامل المساعدة التي تساعدك على هذا وهذا .

أولاً : القراءة في النوافل

النوافل الرواتب خمس في الحد الأدنى لمن لا يزيد ، ماذا نقرأ فيها غالباً ، كل واحد سيجيب إجابة واحدة : سورة الإخلاص ، الكافرون ، الكوثر . نريد أن تُسَمّع الصفحة الجديدة خمس مرات في هذه الصلوات الخمس أو في هذه الرواتب الخمس . الصفحة عندما تقسمها قسمين ، سورة الضحى ، و ألم نشرح تقريباً في هذا الحديث ، فلا تفصل صلواتك عن قراءاتك وحفظك ، هذا من أهم العوامل المساعدة أن تغتنم النوافل بإخلاص في حفظ ومراجعة وتثبيت هذا الحفظ.

ثانياً : القراءة في كل آن

وخاصة في انتظار الصلوات ، ما الفرق بين هذه وتلك ؟ في كل آنٍ عندما تذهب لموعد وغالباً تأتي ولا يأتي من واعدته إلا متأخراً ، فليكن ديدنك أن تكرر حفظك ، وأن يكون مصحفك في جيبك . الصلوات كثيراً ما نأتيها وقد كبّر الإمام ، لو قدمنا خمس دقائق قبل كل صلاة لكان عندنا خمس صلوات ، خمس مجالس يمكن أن نكرر فيه صفحة الحفظ ، أو أن نربط بعض الصفحات ، أو أن نراجع بعض ما سنذكره في شأن المراجعة . هذا لابد أن يكون لنا اهتمام به ، وأن نضعه في أذهاننا وتصوراتنا.

ثالثاً : قراءة المحراب

القراءة الفاحصة التي تفحصك و تُمَحّصك ، هل حفظتَ حفظاً صحيحاً ؟ هل حفظت حفظاً متيناً ؟ إنها قراءة المحراب. أن تتقدم إماماً في الصلاة ، أو أن تَؤُم الناس إذا تيسر لك ذلك ، أو إذا وجدت لك الفرصة ، أو إذا قُدمت ، اقرأ في المحراب ما حفظته ، فإنْ كنتَ مطمئناً مستطيعاً للقراءة ، دون تلكؤ ، ولا تخوف ، ولا توقف .

فهذا مما يعين ؛ لأن قراءتك في الناس غير قرائتك منفرداً ، فإذا أخطأت ركعت ، وإذا أخطأت في الركعة الثانية انتقلت إلى سورة أخرى ، أما المحراب فغالباً ما يمحصك ويفحصك فحصاً جيداً ، فاحرص إن كنت إماماً أن تجعل من حفظك في صلاتك و قراءتك .

۞ رابعاً : سماع الأشرطة القرآنية المجوّدَة ۞

وهذه نعمة من نِعَم الله ﷻ علينا ، أنك يمكن أن تسمع الحفظ الجديد والقديم في كل يوم : في أثناء مسيرك ، في سيارتك ، أو قبل نومك ، في بيتك اجعل شريط القرآن دائم التكرار. ولا تجعل ذلك عفواً ، وليكن ذلك بطريقة منهجية ، بمعنى أنك عندك في هذا الأسبوع سورة معينة للمراجعة تريد أن تجعلها ديدنك خلال هذا الأسبوع. وأن تجعل أيضاً شريط الحفظ الجديد ديدنك هذا الأسبوع ، ليس كيفما اتفق وحسب الحاجة ، لا ، افعل ذلك ضمن البرنامج الذي تكمل فيه حفظك ومراجعتك ، فإن هذا من أعظم الأمور المعينة المساعدة ؛ لأنك ستسمع القراءة الصحيحة وستعيدها وتكررها ، وستسمعها بحُسْن التجويد والترتيل ، فذلك من أهم العوامل المساعدة.

۞ خامساً : الالتزام بمصحف واحد للحفظ ۞

وهذا أيضاً من الأمور التي يُوصَى بها و يُحْرَص عليها كثيراً ، لابد أن تأخذ لك مصحفاً واحداً تحفظ عليه قدر استطاعتك ، من أول المصحف إلى آخره ؛ لأن التغيير تشويش ، فأنت عندما تلتزم المصحف الواحد غالباً ما تنطبع في ذهنك صورة الصفحة ، مبدأ السورة في الصفحة ، ومبدأ الجزء في تلك الصفحة ، وأين تنتهي ، وكم عدد الآيات فيها ، فذلك يُثَبِّت الحفظ عندك ، ويجعلك أقدر على أن تواصل وأن تربط وأن تمضي إن شاء الله مُضِيّاً جيداً سريعاً وقوياً .

أما إذا حفظتَ يوماً في هذا المصحف ، فهذه الصفحة تبدأ بالسورة ، وفي مصحف

آخـــر الســـورة بدايـــتها في مكان آخر ، فلن تستفيد من هذه الفائدة التي هي إحدى الفوائـــد الـــتي سنذكرها فيما يأتي من كلامنا . إذن : المصحف الواحد يعين ، وأجود المصاحف ما يسمى مصحف رأس الآية ، الذي يبدأ بآية وينتهي بآية ، ليس في صفحة جـــزء من الآية ، وتكملتها في الصفحة التي بعدها أو وراءها ، فلتجعل كما قلنا قدرك أو حفظك هو الصفحة ، مقياسك صفحة ، فإنك ستحفظ في اليوم صفحة أو أكثر ، تلك الصفحة هي اللوح الذي يعينك بإذن الله.

۞ سادساً : استعمال أكبر قدر ممكن من الحواس ۞

وهـــو مـــن أهمها وآخرها ، ومعلوم من الناحية العلمية أن استخدام حاسة واحدة يعطـــي نتـــيجة بنســـبة معينة ، فإذا استخدمتَ للحفظ أو في هذا العمل حاستين زاد اســـتيعابك وفَهْمُـــك وحفظـــك لـــه ، وإذا استعملتض ثلاث حواس زاد ، أما إذا استخدمت أربع زاد أكثر.

كـــيف نســـتخدم الحواس ؟ بعض الإخوة يقرءون كما يقولون يقرأ بعينه ، هذه تُضْعِف حفظك. اقرأ بعينك وبلسانك ، ارفع صوتك يتحرك اللسان ، وتسمع الآذان ، ثم إذا استطعت وهذا لا شك أن فيه صعوبة ، لكن فيه قوة ومتانة ، وهو أمر الكتابة ، إذا حفظـــتَ صـــفحتك فاكتـــبها كتابة ، ولو على غير الرسم ، لتثبيت الحفظ ، فإن الكتابة من أقوى ما يُثَبِّت الحفظ تثبيتاً راسخاً لا يُنسخ بإذن الله ﷻ . ونحن نعلم شأن الكتاتيـــب الـــتي تســـمى كتاتيب ، والتي بعض الناس يقولون زمن الكتاتيب وطريقة الكتاتيـــب ، وكأنه أمر فيه تخلّف ، وهو في حقيقة الأمر من أجود وأمتن وأحسن ما يمكن عليه الحفظ.

وأذكـــر لكم هذه التجارب التي تعرفونها خاصة في بلاد المغرب العربي ، وفي بلاد أفريقـــيا لا زالوا في موريتانيا وغيرها يحفظون بهذه الطريقة. أنا ذهبت مرة إلى المغرب وذهبـــت إلى بعض المساجد ووجدت الطلاب كلٌّ معه لوح من الخشب يكتب عليه ،

فـــإذا كتب هذا اللوح يظل يردده حتى يحفظه ، ثم عندهم هناك سطول من الماء يغمس فيها لوحه فيه ، ويكون قد ثبت في ذهنه ، فإذا مُحي من لوحه فلا يخشى بإذن الله ﷻ من ذهاب حفظه. فالكتابة أيضاً أمر مهم .

وهناك نماذج كما قلت عندما ترى أمثال هؤلاء الذين يحفظون في الكتاتيب تعجب كأن عندك مسجلاً ، يقول : اقرأ من آية كذا ينطلق المسجّل ما شاء الله دون أن يخطئ ، بل في تركيا عندهم مدارس لتحفيظ القرآن على النظام الداخلي، يدخل فيها الطالب مـــا يظهر لأهله إلا في آخر الأسبوع لمدة سنتين كاملتين ، لكن يحفظ حفظاً عجيباً ، وإنْ شـــئتَ قُلْ أعجب من العجيب أولاً بأرقام الآيات بمواضيعها بترتيبها ، يمكن إذا جئـــتَ بالآية لا يأتيك بالتي بعدها ، بل يأتيك بالتي قبلها ، و ممكن إذا جئته بالآية و قلـــتَ إنـــك تريد نظائرها قرأ لك هذا الموضع و أتمه ثم جاءك بموضع آخر من سورة أخرى و أتمه ، يعني : حفظ في غاية القوة و المتانة. هذا ما يتعلق بالحفظ.

ثالثاً : المراجعة

القســـم الثالث : المراجعة ، وهي من تمام الحفظ ، فلا حفظَ بلا مراجعة ، وليس هناك مراجعة أصلاً من غير حفظ. هناك أسس ثلاثة قبل أن ندخل في طريقة المراجعة.

الأسس

أولاً : التعاهد الدائم

ولســـت كما قلتُ مَعْنياً بأن نذكر النصوص في تفلُّت القرآن وما أخبرنا به نبينا ﷺ « تعـــاهدوا هذا القرآن ، فوالذي نفس محمد بيده لَهُوَ أشدّ تَفَلّتاً من الإبل في عقلها » [رواه مســـلم] . وقـــال : « تعاهدوا هذه المصاحف وربما قال القرآن فلهو أشدّ تفصـــياًمـــن صـــدور الـــرجال من النّعَم من عقله » [رواه أحمد] ، إلى غير ذلك من الأحاديـــث ، لكـــن أقول : إن القرآن قال الله تعالى في وصفه : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ [القمر] ، لكن جُعل من خصائصه أنه سريع التفلت ، لماذا؟

حكمة من الله ﷻ ، من أراد أن يحفظ القرآن هكذا ليتباهى به ، أويحفظه ليأخذ به جائزة ، فهذا لا بأس يُحفظ ثم يُنسى ، أما من يريد أن يحفظ القرآن حفظاً لله ﷻ ، ثم ينـــتفع به في عبادته وتعليمه إلى آخره ، فإنه لا بد أن يبقى معه ، وبقاؤه معه هو التأثير الإيجـــابي العملي السلوكي ، فإن الأمر ليس يتعلق فقط بالحفظ ، نحن اليوم نركز على هـــذه المعاني ، لأننا نهدف إلى هدف معين نريد طريقة الحفظ ، أما بقية الأمور فليست في معزل عن هذا.

ثانياً : لا بد من المقدار الكبير

المقدار الكبير ، من يريد أن يراجع صفحة باليوم فهذه لا تُعَدّ مراجعة ولا يُنتفع بها إلا في دائرة محدودة جداً .

﴿ ثالثاً : استغلال المواسم ﴾

مثل موسم رمضان ، فهو موسم المراجعة الأكبر ، فقد كان النبي ﷺ يلتقي جبريلَ في رمضـــان ، ويتدارســـان القرآن معاً في كل رمضان ، حتى إذا كان في العام الأخير تدارسه معه مرتين ، فهذه النوافل تجمع وتفيد بإذن الله ﷻ.

أمـــا الطـــريقة ، فأحـــب أن أشير إلى أمر مهم جداً إذا اعتبرنا المراجعة هي عبارة عن وقفـــات ومحطـــات فأحســـب أنها لا تفيا ، يعنى أمضي لأحفظ خمسة أجزاء ، ثم أقف لـــلمراجعة ، هذا بالنسبة للتجربة أرى أنها كالذي يحرث في الماء ، خاصة إذا كانت طريقته في الحفظ أيضاً ليست محكمة وجيدة . لا بد أن تكون المراجعة جزءاً لا يتجزأ من الحفظ ، فكمـــا تحفظ كل يوم تراجع كل يوم ، لا تَقُلْ لي ليس عندي في هذه الأيام مراجعة ، أو المـــراجعة ستكون في الشهر القادم ، أو بعد شهرين ، هذا لا سيما في البدايات لا يمكن أن يثمر ، ولا ينفع في غالب الأحوال ، لا بد أن تكون المراجعة جزءاً قصيراً .

الطريقة

ويمكن أن نشير إلى أمرين مهمين في مسألة الطريقة :

﴿ أولاً : تسميع أربع صفحات من الحفظ الجديد ﴾

عـــند تسميع كل صفحة جديدة لابد من تسميع أربع صفحات من الحفظ الجديد قبـــلها. يعـــنى يسمع خمس صفحات ، في اليوم التالي ماذا سيصنع ، سيحفظ صفحة جديدة سَيُسَمّعها ومعها أربع صفحات من التي قبلها ، وستكون صفحة الأمس معها ، صفحة الأمس ستكرر خمس مرات ، فهذا أولاً جزء المراجعة المبدئي الذي هو للحفظ الجديد ، يحتاج إلى صيانة باستمرار ، مثل أي شيء تترك صيانته يبدأ يتسرب إليه الخلل ، إذاً أولاً مع كل صفحة جديدة يُسَمّع أربع صفحات من الجديد قبلها ، هذا سيجعل الصـــفحة الجديـــدة تُسَمّع خمس مرات ، قبل أن ينتقل قبل ذلك إلى صفحة سادسة ، وسيعيد قبلها أربعاً ، فلن تكون الأولى منها.

﴿ ثانياً : أن يُسَمّع في كل يوم عشر صفحات من القديم ﴾

كمـــا قلـــت لـــيس هذا صعباً أو محالاً إذا استغل سيره بسيارته وصلاته في نوافله وقـــراءته في نوافله ، وغير ذلك مما أشرتُ إليه من سماعه لأشرطة القرآن ، فيتحقق له ذلـــك بـــإذن الله دون عناء كبير ، المهم النية و العزيمة ، إلى آخر ما ذكرنا في الأسس العامـــة ، هذا يضبط لنا الأمر خاصة في البداية ، ثم ماذا يحدث نتيجة لهذا ، في البداية أيها الإخوة قد يكون مثل هذا الأمر فيه بعض الصعوبة ، أو يحتاج لبعض الوقت .

لكـــن ما الذي يحدث بعد هذا أيها الإخوة ، ألست قد اشترطت عليكم أن يكون حفـــظ الصفحة الأولى مثل حفظ الفاتحة ، فإن طبقتم ذلك ثم قرأتموها خمس مرات في نوافلكـــم ، ثم كانت ضمن الصفحات الخمس التي تُسَمّع في الأيام التي بعدها ، فماذا سيكون شأن هذه الصفحة ؟ هل تراك عندما تراجعها ستحتاج إلى جهد أو إلى عناء ، أنـــت ســـتتلوها كما تتلو فاتحة الكتاب ، وأنت تمشي ، وأنت تجلس ، وأنت تنتظر ، وأنـــت تقـــوم وفي أى وقت من الأوقات ، إذاً ماذا يحدث ، المراجعة إذا أتقناها بهذه الطريقة تصبح شيئاً لا يشكل عبئاً ، ولا يحتاج وقتاً في الوقت نفسه.

فلو تصورتَ أنك بدأتَ الحفظ حديثاً ، فحفظتَ الصفحة الأولى ، ثم جئتَ في اليوم التالي وحفظـــتَ الصفحة الثانية ، وبذلك تُسَمّع الصفحتين معاً ، حتى إذا جئتَ إلى اليوم الخامس سَـــمّعْتَ الصفحات الخمس ، ثم إذا جئتَ إلى اليوم العاشر سمعت العشر ، وبذلك تمضى إلى نهايـــة الجزء عشرين صفحة ، ماذا سيكون ، ستكون الصفحة الأولى قد مرت بك نحواً من ثلاثين مرة ، فإذا مشيت على هذه الطريقة ، إذا جئتَ إلى الجزء الثاني و الثالث لن يكون الجزء صعباً عليك ، ولن تحتاج أن تقول إذاً لابد أن أتوقف الآن حتى أراجع ذلك الجزء .

هـــذا التوقف والوقفات الطويلة للمراجعة هي حفظ جديد. وكثيراً ما يصنع ذلك طلـــبة التحفيظ ، يمضى خمسة أجزاء ثم يقول أقف للمراجعة ، ووقفته للمراجعة حفظ جديد يحفظها مرة ثانية ، ثم لا يُحْكِمها ، ويمضى خمسة أخرى ، ثم يقول أرجع ، وهو

كما قلت إنما يحرث في الماء ، فلينتبه لذلك.

العوامل المساعدة

عوامل مساعدة للمراجعة كما قلت ، بعضها مما ذكرت:

أولاً: الإمامة في الصلاة

الإمامة في الصلوات أمر مهم كما ذكرت سابقاً.

ثانياً : العمل بالتدريس في مجال التحفيظ

إذا حفظتَ وأتممتَ وختمتَ لا شك أن هذا مهم جداً ، يُعينك كثيراً ، إذا صِرْتَ مدرساً للتحفيظ بعد أن تحفظ ، هذا يُسَمّع لك الجزء الأول ، وهذا في الخامس ، وذاك في العاشر. ارتبط بالقرآن و تسميعه كثيراً.

ثالثاً : الاشتراك في برامج التحفيظ

عـــندما تكون منفرداً يختلف الوضع ، ولكن عندما تكون مع اثنين أو ثلاثة ، أو في حلقـــة هـــذا يُسمع ، وهذا يُسمع ، وهذا يَسمع لك ، وأنت تَسمع له سيكون هناك روح من الجد وقدرة على المواصلة في هذا الباب.

رابعاً : قيام الليل و القراءة فيه

وهـــو من الأمور النافعة المفيدة التي قَلّ مَن يأخذ بها إلا من رحم الله ، قيام الليل و الإفاضة فيه. وقد أفاض النووي رحمة الله عليه في (التبيان) في هذا الباب وكما قلت : لا أريد أن نتفرع إلى ذكر الفضائل أو المزايا ، فإن قراءة القرآن في الليل فيها : الهدوء ، والســكينة ، واستحضـــار القلب ، واجتماع الفكر ، إضافة إلى ما يفتح الله عَزَّ وَجَلَّ به عليك وأنت تعبده والناس نائمون ، إلى غير ذلك ، هذا أمر واضح جداً .

هذا ما يتعلق بالمراجعة .

رابعاً : الروابط و الضوابط

القسم الرابع : الروابط والضوابط. كيف نربط بين الآيات والسور ، بعض الناس كثيراً ما يَشْكُون من هذه المشكلة ، خاصة الذين لم يأخذوا بهذه الطرق ، و لم ينتظموا ويستمروا ، يقول : أنا أحفظ وعندي قدرة أن أحفظ في الليلة الواحدة ما شاء الله لي أن أحفظ ، لكن المسألة فيها متشابهات ، وهناك أمور تختلط والسور بعضها البعض ، ويسأل عن هذا الأمر.

أقول : أولاً قبل أن ندخل في التفصيلات ، الحفظ لا يتعلق بالروابط والضوابط وحفظ المتشابهات وغيرها. الحفظ يعتمد على ما ذكرتُ من حُسْن الطريقة الصحيحة ، ودوام المراجعة المكثفة ، لأنه ما المقصود بالحفظ ؟ الحفظ أصلاً هو عملية ذهنية يمكن فَصْلها نظرياً عن أي شيء آخر ، يمكن فصلها عن الفهم ، فأنت تستطيع أن تحفظ ما لا تفهم ، ويمكن فَصْلها نظرياً عن العمل ، فأنت تستطيع أن تحفظ ما لا تعمل به ، وهو عملية ذهنية آلية .

مما يُذكر في ترجمة أبي العلاء المعري الشاعر ، أنه كان وقّاد الذهن ، سريع الحفظ ، حتى إنه كان يحفظ أي شيء يسمعه ، فقيل : إنه اختلف روميان بينهما وتصايحا في أمر من الحقوق ، فاختلفا إلى مَنْ يحكم بينهما ، فقال لهما هذا الذي يحكم : هل شهد أحد غيركما حواركما وخصامكما ، قالوا : لا ، لكن كان إلى جوارنا رجل أعمى - وهو أبو العلاء ، الذي يُسَمى رهين المحبسين - فجيء به ، قال : إني لا أعرف رطنهما ، لكن الأول قال كذا وكذا ، والثاني قال كذا وكذا. كأنهما اثنان يتكلمان باللغة الإنجليزية ، وهذا حفظ ما قال هذا ، وما قال هذا ، أما ما هذا الذي قاله ؟ ما معناه ؟ لا يدري ، هو يحفظ .

إذاً فلا تتعلم في الحفظ أنك تريد أن تنظر إلى الضوابط والمتشابهات ، ويأخذ بعض

الإخـــوة الكتب ليعرف ما الفرق بين هذه الآية وتلك ، هذا نعم لا بأس به ، لكن ليس هـــو الأساس ، فالأساس أن تحفظ ، الحفظ الذي هو التسميع ، الذي هو التكرار ، الذي هـــو إدمان القراءة والتلاوة والتسميع والمراجعة ، هذا الذي يتحقق به الفرد ، هذه أمور أخـــرى لاحقة وتابعة ، ومن باب النافلة والزيادة ، ليست هي أصلاً في هذا ، ولكنها في الوقت نفسه مُعينة ومفيدة ومُكَمّلة ومتممة ، فلا تعتمد عليها ، ولكن استأنس بها.

وهـــذه متفرقات حول الروابط و الضوابط ، فهناك متشابهات ، فالله ﷻ يقول : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر] أي : في بعض معاني التفسير أنـــه يشبه بعضه بعضاً ، ونحن نعلم أن هناك آياتٍ مكررة وآيات متشابهة ، لا يختلف بعضـــها عن بعض في حرف واحد ، وهذا من إعجاز القرآن وسَعة ودقة معانيه ، وفيه كـــلام طويل عند أهل العلم ، لكن لنأخذ بعض الملامح في مسائل المتشابهات لعلها أن تعين ، إضافة إلى أنني أريد أن أشير إلى أن هذه الروابط والضوابط تعتمد على كل أحد في نفســـه ، فأنـــت قد تجعل لنفسك ضابطاً ليس لي ، فأنا قد أكون قد ضبطتُ هذه الصفحة أو هذه السورة في تصور معين وأنت ضبطتها في تصور آخر ، أي : في ضبط المعنى ، أما الحفظ فكله واحد.

من ذلك على سبيل المثال :

أولاً : المنفردات و الوحدات

وهنالك رسالة صغيرة بهذا العنوان ، أي : هناك آيات متشابهة ، لكن واحدة منها كانـــت بصـــيغة معينة ، تعرفها حتى تعرف أن ما سواها متطابق ، وهي الوحيدة التي انفـــردت بذلك ، كما في قوله ﷻ : ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ .. ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة] هذه في الـــبقرة لوحدهـــا مع تقديم (به لغير الله) ، وفي باقي القرآن ، أما في المائدة ٣ ، وفي الأنعام ١٤٥ ، وفي النحل ١١٥ ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ ، فقط في البقرة ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾. هـــذه لا تَقُـــلْ لي ســـتجعلني أحفظ. لا ، هي بعد أن تحفظ خذ هذه

العلامـــة ، فـــإذا جئـــتَ وأنت تقرأ البقرة في الصلاة وغيرها القاعدة في ذهنك ، فإذا وصلتَ لها قدمت به ومضيت وأنت مطمئن ، لا متشككاً هل هذه كذا أو كذا.

مـــن المـــنفردات أيضـــاً ، الآيـــات التي في بني إسرائيل : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ [الـــبقرة ٦١] إلى آخـــر قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ تجـــد النبيين في أكثرهم ، وتجدها الأنبياء في آل عمران ١١٢ ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ ﴾ وحدها ، وهكذا تجد المنفردات يمكن أن تميزها حتى تضبط ، أو تُتِمّ الحفظ وتتقنه بعد حفظك له إن شاء الله.

هـــناك أيضـــاً مواطـــن متشـــابهات كثيرة ، بعد أن تحفظ لك أن تصنع الروابط والضـــوابط بنفسك ، خذ الآيات التي فيها متشابهات وضَعْها أمام عينيك ، واجعل لها رابطاً بحسب ما ترى.

أَمْر إبليس بالسجود ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة] ، ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأعـــراف] ، ضعها أمامك وميّز بينها بأيّ تمييز تراه يفيدك ويثبت في ذهنك ، وليس هناك من شرط في هذا. إذاً الأمر واسع.

ثانياً : مسألة المتشابهات و ضبطها في الكتب

هناك كتب وضعها العلماء في ضبط هذه المتشابهات ، ما معنى في ضبطها ؟ يعني : أنهم جاءوا لك بالآية و شبيهها في موضع واحد ، ونبهوا أن الفرق بين هذه و هذه هو هذا الحرف ، أو هذه الكلمة ، أو هذا التقديم ، أو هذا التأخير ، إذاً في كونها جُمعت في مكان واحد ، فهذا يساعدك على أن تستوعبها ، وأن تجعل هناك فرقاً بينها ، إضافة إلى أن العلماء صنف بعضهم في هذه المتشابهات معلقاً على الاختلاف بينها في المعاني ، فإذا عرفتَ المعنى لا شك أنه سيثبت لك الفرق بين هذه الآيات وهذه الآية .

عـــلى ســـبيل المثال قد ذكرتُ ذلك بالمناسبة في درس "جولة في المصادر القرآنية" عندما تكلمنا على الكتب التي فيها بيان لاختلاف المعاني بالنسبة للآيات المتشابهة منها

" فـتح الرحمن في كشف ما يلتبس من القرآن" و منها " درة التأويل وغُرّة التنزيل" إلى غـير ذلـك مما سأذكر منه الآن ، أقول: هذه الكتب عندما تُعرف هذه الكلمة ، وأن هناك مشابهاً لها ولكن في اختلاف ، وأن هذا الاختلاف جيء به لغرض هذا المعنى كذا وكذا ، هذا يُثبّت في ذهنك الفرق بين هذا وهذا ، وهو أمر مهم جداً .

أضـرب مثالاً ، ففي قصة زكريا عليه السلام وقصة مريم في سورة آل عمران، في الأولى قال : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران] ، وفي قصة مريم قال : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمـران] .لِمَ قال هناك يفعل ؟ ولِمَ قال هنا يخلق ؟ هناك زكريا الزوج موجود ، والمرأة موجودة اللهم كِبَر السن ، فالأمر ليس مثل قصة مريم ، وهي امرأة بلا زوج ، قال : ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ فهنا تستطيع أن تفـرق بـالمعنى بين هذه القصة وتلك القصة ، فيثبت في ذهنك أن قصة زكريا فيها : ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ ﴾ ، و في قصة مريم ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ ﴾ وهكذا .

هـناك كتب كما قلت منها " درة التنزيل وغُرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات من كـتاب الله العزيز " للخطيب الكافي ، ومنها " أسرار التكرار في القرآن " للإمام محمود بن حمـزة الكرماني ، ومنها " متشابه القرآن" لأبي حسين ابن المناوى ، ومنها " منظومة هداية المرتاب وغاية الحُفّاظ والطلاب " للإمام الشيخ أبي بطر فيها بعض هذه المتشابهات.

ولنأخذ أمثلة مما قد تضبطه بنفسك ، وتضع له قاعدة وحدك دون غيرك ، المسألة واسعة .

مثلاً في آل عمران في الآيات : ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨فيها : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ اجمعهـا في كلمة عام، العين عظيم ، والألف أليم ، والميم مهين ، تنضبط معك ، فإذا جئتَ إلى هذه الصفحة انطلقتَ وأنت مطمئن ، لا خوف عليك أن تخلط بين هذه وتلك.

مثال آخر في المائدة : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ، بعده مباشرة ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ بعدها في الصفحة التي بعدها ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾

اجمعهـــا في كلمة عصف ، **الأولى** : عين يعملون ، **والثانية** : طاء يصنعون ، **والثالثة** : فاء يفعلون ، أيضاً تنضبط معك ، وتبقى في ذهنك ، ولا إشكالَ فيها بإذن الله ﷻ .

ومثلاً : ﴿ **فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾** ﴾ [الصافات] و ﴿ **وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾** ﴾ [الأنبـياء] ميز بينها ، الصافات فيها الفاء ، نفس كلمة الصافات فيها حرف الفاء فاجعل فيها "فأرادوا" ، وأيضاً فيها فاء في "الأسفلين" فإذا الفاء في الصافات في هذا المعنى ، وتبقى الأنبياء بالواو الأخسرين بدل الأسفلين.

وهكـــذا قِـسْ على هذا أموراً كثيرة ، تستطيع أن تجعلها على هذا النسق ، مثل : قوله : ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ** ﴾ [الإسراء ٨٩] ، وقوله ﷻ : ﴿ **وَلَقَـــدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ** ﴾ [الكهف٥٤]. **الأولى** : في الإســـراء فـــيها حرف السين ، فقدم ما فيه السين " الناس" وقُلْ : ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ** ﴾ ، **والثانية** : في الكهف فيها فاء فقدّم ما فيه الفاء ، وقُلْ : ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ** ﴾.

وهكذا ضوابط معينة يمكن أن تستفيد منها ، أيضاً تقديم اللهو واللعب : ﴿ **الَّذِينَ اتَّخَـــذُوا دِيـــنَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا** ﴾ [الأعراف ٥١] ، ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ** ﴾ [العنكبوت ٦٤] .

قـــال أحدهـــم ضابطاً لها : " وقدم اللهو على اللعب في الأعراف قل والعنكبوت يرضى فيه".

يعـــني أي بيت أي كلمات تضبطها بعض الحروف أي شيء من هذا. هناك أيضاً مـــثل : " الـــرجفة مع الدار " و" الصيحة مع الديار" قاعدة عامة (فأخذتهم الرجفة) ســـيكون الكلام في دارهم ، (فأخذتهم الصيحة) سيكون الكلام في ديارهم . وهكذا ستجد أنواعاً كثيرة في هذا الجانب.

ثالثاً : فَهْم المعاني و تأملها

مما يساعد على الربط والضبط أيضاً ، كيف أيها الإخوة الأحبة ، مثلاً موضوع السورة ، خاصة السور غير السور الطوال ، موضوعها قد يساعدك على أن تتصور التدرج في هذا الموضوع . بدأ الله عز و جل مثلاً في سورة الرعد في الآيات التي في السماوات من عظيم خَلْقه ، ثم الآيات التي في الأرض ، ثم بعد ذلك انتقل إلى موقف الكفار من هذه الآيات ، وأنهم كفروا بالله ﷻ ، ثم انتقل إلى إقرار آخر في علم الله ﷻ . يعني : يمكن إذا قرأتَ ما يُعرف بمقاصد السور أن تتصور هذه السورة بمقاطعها وأجزائها فتُعينك على تصوّر تسلسلها.

بعض السور أيضاً يعينك أنها القصص الطويلة ، القصص الطويلة مثل قصة يوسف سورة كاملة إذا عرفتَ القصة وتسلسلها طبعاً لن تقفز من حدث إلى حدث وتأتي بآيات قبل الحدث الأول ، إذا كنت تعرف القصة وعرفت مضامينها. و قلت القصص الطويلة مثل : قصة يوسف ، وقصة موسى في بعض المواقع يمكن أن يعين تصور القصة على الربط بين آياتها ، ويعين ذلك أيضاً في مثل السور التي فيها قصص لعدد ، أو لكثير من الرسل والأنبياء ، مثل : قصة هود ، وقصة الأعراف والأنبياء ، حاول أن تعرف أو أنْ تكتب قصص الأنبياء مرتبة ، نذكر مثلاً في الأعراف : قصة نوح ، ثم عاد ، ثم صالح ، ثم إلى آخره. فاعرفها حتى إذا انتهيتَ من قصة النبي الأول وأنت تقرأ عرفتَ أن بعده النبي الثاني ، فتبدأ بوقفة تحتاج إلى دفعة ، فاجعل دفعتك ذاتية دون أن تحتاج إلى مَنْ يدفعك أو من يُلَقّنك.

أيضاً الأجزاء والأرباع أيها الإخوة والسور، مبدأ السورة ، مطلع الجزء ، بداية الحزب أو الربع ، مهم جداً ويوفيه. فأنت تجعل لكل ربع مضمونه ، مثلاً أن تقول : الربع الأول في البقرة طبعاً سيكون محفوظ فيه قصة آدم والملائكة ، الربع الثاني قصة بني إسرائيل وفرعون ، الربع الثالث قصة البقرة ، تجعل لكل ربع مثلاً تصوراً معيناً ، أو مضموناً معيناً ، تجعله حاضراً في ذهنك ، هذا الربط بالمعنى فيه صعوبة ، لكنه في الغالب مع المراس يتولد عندك شيء من هذا الربط.

رابعاً : الربط العام

الضـــبط المقصـــود ، الرابع والأخير الربط العام ، أن نربط الآيات بطريقة الحفظ التي ذكـــرناها ، ونـــربط الســـور والأجـــزاء ، ونعرف ترتيب السور ، وترتيب الأجزاء ومطالعها، هذا يتم كذلك بالطريقة التي أشرنا إليها في الحفظ وفي المراجعة .

خامساً : اختلافات و فروق

أخـــيراً ، النقطة الخامسة من نقاط الدرس وهي : الفروقات والاختلافات . لاشك أن الـــذي ذكرناه قواعد عامة ، وأن الناس يتفاوتون في : السن ، وفي الحفظ وفي سعة الوقـــت ، وفي القدرة على الاحتمال ونحو ذلك ، هذا كله وارد في هذا الباب ، لكنني قد ذكرت ما أحسب أنه يصلح للجميع ، ولذلك كان بعض الإخوة يتصور أن الدرس سيكون عن : حلقات التحفيظ ، والطالب في التحفيظ ، والقدر الذي يأخذه في الحلقة وهكذا ، قد نجعل هذا جزءاً من حديث الدرس القادم إن شاء الله تعالى .

وقـــد أردتُ أن يكون التركيز في هذا على معنى البحث بحثاً مجرداً لأي أحد كبيراً كان أو صغيراً ، موظفاً أو طالباً ، بحلقة أو بغير حلقة ، منفرداً أو مع مجموعة يمكن أن يفيد مما ذكرتُ من هذه المعلومات والطرق والملامح السريعة التي أشرت عليها. لكنني أيضاً أقول : لهذه الفروقات جوانب منها :

﴿ أولاً : السن ﴾

الحفـــظ في الصّغَر كالنقش في الحجر ، فاحفظ وأنت صغير إن استطعت ، أما إذا كنـــتَ قد كبرتَ فلن تستطيع أن تُصَغّر نفسك ، لكن عَوّض ذلك في أبنائك ، وانتفع بهم إن شاء الله ، والحفظ في الصّغَر كما قلتُ حفظٌ لذات الحفظ ، أو لمضمون الحفظ ، لن أقول للصغير متشابهات ؛ لأنه لا يدرك هذا المعنى ، لن أستطيع أن أشرح له معاني الآيـــات وتفسيرها ، هو سيحفظ حفظاً و سيرسم رسماً ، هذا الحفظ هو الحفظ القوي المتين ، كما يحصل الآن مثلاً في دراسات المعاهد الإسلامية على المناهج القديمة خاصة الأزهـــر وغيره ، يحفظون في الأزهر في الابتدائية – هم عندهم على النظام القديم أربع ســـنوات ابتدائية ، ثم أربع سنوات متوسط – يحفظون في الابتدائية أربع سنوات ألفية ابن مالك ، كل سنة يحفظون مئتين وخمسين بيتاً ، يحفظها الطالب لا يفهم منها شيئاً ،

ولا يعقل منها شيئاً ، فإذا دخل المتوسط كان المنهج المقرر شرح ألفية ابن مالك .

لا تقل لي في مسألة الحفظ ما يقوله لا أقول التربويون ، لأن التربويين الحقيقيين لا يقولـــون هـــذا ، أن الحفـــظ مسألة غير تربوية وبعض الناس يقول : لماذا نرهق أبناءنا بـــالحفظ في المدارس الابتدائية ؟ و أحدهم كتب في إحدى الجرائد قائلاً : من قال لكم إن الســـور القصـــيرة سهلة الحفظ ، يقول : بعض السور القصيرة من أصعب ما يمكن حفظـــه ، طبعاً هو يتحدث عن نفسه والله أعلم ، أما الله ﷻ فيقول : ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر ١٧] .

فالحفظ هو الأساس في العلم ، ليس وحده ، ولكن هو الأساس في المدخل ، تريد أن تفهـــم ، كيف تفهم ما لا تحفظ ؟!. تريد أن تستشهد ، كيف تستشهد بما لا تحفظ ؟! تـــريد أن تدلل ، كيف تدلل على ما لا تحفظ ؟! إلى آخر ذلك . الحفظ أمر أساسي ولا بد منه . إذاً أول شيء في الفروق والاختلافات مسألة السن فاحرص على هذا الشيء .

ثانياً : الأوقات و الشواغل

اختر الوقت الصافي ، الذي فيه صفاء من وجهين :

أولاً : صفاء من الكوادر و الشواغل ، بمعنى : أن لا تنصرف به عن شيء .

ثانـــياً : أن يكون صافياً خالصاً لفترة الحفظ ، لا تجمع معه شيئاً غيره ، لا تحفظ وأنت تـــريد أن تأكل ، تحفظ وتجيب على التليفون ، تحفظ و.... لا تفعل ذلك أبداً .

اجعـــل حفظـــك صافياً في وقته للحفظ ، وبعيداً عن الشواغل في هذا الوقت ، وهـــذه الأوقات تتفاوت بين الناس ، لكن أفضل وقتين فيما أرى و الله أعلم في الواقع في حياة الناس : قبل النوم ، وبعد الفجر. فقبل النوم لن يكون عندك أحد ، ولن يأتيك أحد ، وإن كان كثير من الناس تعودوا على الإزعاج وغير ذلك ، ولكنه أهدأ الأوقات. وبعد الفجر أيضاً أهدؤها وأعونها على الحفظ.

ثالثا: البرمجة

الأمـــر الثالث ، الناس يكونون في أشغالهم ووظائفهم ، ولكن هناك أمراً لا بد منه وهـــو البرمجة ، فما يكون عندك من أمر له أهمية ضَعْهُ في برنامجك ، كما أنه لا تتصور أن يمضي يومك دون أن تصلي الفرائض الخمس ، أو أن يمضي يومك دون أن تنام ، أو دون أن تـــأكل ، أو عـــند بعض الناس دون أن يفعل شيئاً من الأشياء التي تعوّدها ، فاجعل أنه لا يمضي وقتك ويومك إلا وفيه في البرنامج جزء ووقت لهذا الأمر ، يقلّ أو يكـــثر ، ليس مهماً ، لكنه لا بد أن يثبت ، يقل ويقصر نعم لكن لا يزول بل يثبت ، وهكذا سنجد هذا واضحاً بيناً.

وأخـــيراً ، أذكر بعض الأمور الواقعية ، فليس هذا الكلام نظرياً ، ولا خيالياً ، بل هو واقعيٌّ في أعظم سور الواقعية ، و أذكر لكم بعض الأمثلة من المعاصرين والقدماء.

أمـــا القدمـــاء ، فقد ذكر الذهبي في "*معرفة القراء الكبار*" ذكر عن أحد المترجمين من القراء أنه حفظ القرآن في سن سنين يعني في الخامسة ، قال : وجمع القراءات في العاشرة ، قال : وهذا قَلّ في الزمان مثله ، وهذا يحدث ويقع ، وتجد والحمد لله هذه الأمور واضحة.

۞ الشـــيخ الدوســـري عليه رحمة الله ، في ترجمته المطبوعة في كتاب ترجمة حياة الشـــيخ الدوسري ، قال : وحفظتُ القرآن في شهرين ، اعتزلتُ فيها الناس وأغلقت عليّ مكتبي ، و لم أكن أخرج إلا للصلاة.

وأنـــا أذكر لكم قصة رجل أعرفه ، وهو لا يزال موجوداً بيننا ، أختم به الدرس، هـــذا شاب أصله من السودان ، كان والده يدرس في أمريكا ، وَوُلِدَ هو في أمريكا ، فصـــار مســـتحقاً للجنســـية الأمريكية ، ودرس هناك المرحلة الأولى الجامعية ، وأخذ الماجستير في الهندسة ، وشرع أيضاً في مرحلة الدكتوراة ، و كان في المسجد أو المركز الإســـلامي الذي هو فيه بعض إخواننا ممن يسكنون معنا في هذا الحي ، وهو ممن يحفظ أكثر القرآن و يُجَوّده ، وقراءته جميلة ، فكان يَؤُمّ فيهم بالصلاة ، فلفت نظره .

يقـــول : ما كنت قد سمعت قراءة بمثل هذه الجودة والحلاوة ، ثم سألت فقيل : إن هــذا يحفظ عشرين أو خمسة وعشرين جزءاً ، ففكرتُ ، أنا مسلم ولا أحفظ القرآن وأحسن قراءة القرآن ، فعزمتُ أن أحفظه ، فماذا صنع ، أوقف دراسته وأخذ إجازة ، وجـــاء إلى هـــنا متفرغاً للحفظ ، يقول : يريد أن أحفظ وأن يتعلم بعض الأمور من الحديـــث وبعض العلوم الإسلامية ، وجاء إليّ مرسلاً من هذا الأخ الذي هو جار لنا ، فوجـــدتُ عـــنده همة و عزيمة عالية ، فذهب إلى مكة في الحرم متفرغاً ، وللترتيب مع بعـــض المدرســـين لعلهم أيضاً أعانوه في ذلك ، فأتمّ الحفظ في مئة يوم ، يعني : ثلاثة أشـــهر و عشـــرة أيام في الحرم ، كان أغلب وقته متفرغاً لهذه في الحرم ، ويمكث فيه الوقت الطويل .

ثم جاء إلى هنا مرة أخرى ، فطلب أن يلتحق بمدرس أو مُحَفّظ حتى يراجع ويسمع الخـــتمة عشـــر وعشرين مرة ، فألحقتُه بإحدى حلقات واحد من المدرسين الجيدين ، وبمدرس آخر للتجويد ، فهو الآن يُسَمّع ، وهو مواظب ومنتظم ، لا يغيب يوماً واحداً ، ومـــا جاء إلا لهذا ، وما فرّغ وقته إلا لهذا ، وما قطع دراسته إلا لهذا. إذاً المسألة إن شاء الله بالنية والعزيمة ، والله يبارك ويوفق ويعين.

ملحق خاص
في تجويد القرآن

معنى التجويد :

التجويد لغةً : التحسين والإتقان .

التجويد اصطلاحاً : إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه .

(حَـــقّ الحرف : صفاته الذاتية اللازمة التي لا تفارقه ، كالجهر والشدة).(ومستحق الحرف : صفاته العرضية التي يوصف بها أحياناً ، وتنفك عنه أحياناً أخرى ، كالتفخيم والترقيق) .

حكمه :

العلم به : فرض كفاية ، والعمل به : فرض عين . قال الله تعالى : ((ورتل القرآن ترتيلاً)) ، وقال النبي ﷺ : ((من لم يتغنّ بالقرآن فليس منا)).

غايته : صَوْن اللسان عن اللحن في كلام الله تعالى .

فضل تلاوة القرآن :

١. قـــال الله تعـــالى : ﴿ **إِنَّ الَّذيـــنَ يَتْلُونَ كتَابَ اللّه وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا ممَّا رَزَقْـــنَاهُمْ سرّاً وَعَلانيَةً يَرْجُونَ تجَارَةً لَنْ تَبُورَ * ليُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ منْ فَضْله إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾[فاطر: ٢٩-٣٠]

٢. وقال رسول الله ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن وعلّمه) . رواه البخاري.

٣. وقال رسول الله ﷺ : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة). رواه البخاري ومسلم.

مراتب التلاوة : للتلاوة ثلاث مراتب ، هي :

١. **التحقيق** : هو القراءة باطمئنان وتؤدة مع إعطاء الحروف حقها ومستحقها من التلاوة.

٢.**الحدر** : هو الإسراع في القراءة ، مع مراعاة أحكام التجويد .

٣.**التدوير** : هو القراءة بحالة متوسطة بين الحدر والتحقيق .

والترتيل يَعُمّ المراتب الثلاث .

اللحن

اللحن : هو الخطأ والميل عن الصواب ، وينقسم إلى قسمين ، هما :

١ _ **اللحن الجلي** : وهو خطأ يطرأ على الألفاظ ، فَيُخِلّ بمعاني القرآن كإبدال الطاء دالاً ، أو ضم تاء (أنعمت) ، أو تغيير حرف مكان حرف ، كأن يقول (الزي) مكان (الذي). وسُمّي جلياً لوضوحه للقراء وغيرهم . وحكمه : حرام يأثم القارئ بفعله .

٢ _ **اللحن الخفي** : هو خطأ يطرأ على الألفاظ ، فَيُخِلّ بعُرْف القراءة دون المعنى ك : تـرك الغنّة ، ومَدّ المقصور ، وقَصْر الممدود ، وسُمّي خفياً لاختصاص القراء بمعرفته . حكمه : مكروه . وقيل : حرام .

الاستعاذة والبسملة :

للاستعاذة عِدّة صيغ ، أشهرها : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

. معنى الاستعاذة : ألتجئ وأعتصم بالله من الشيطان الرجيم .

. حكم الاستعاذة : قال الله تعالى : ((فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)) حمل بعض العلماء الأمر على الاستحباب ، وحمله بعضهم على الوجوب .

أمـا **البسملة** فلفظها : بسم الله الرحمن الرحيم . ومعناها : أبتدأ عملي باسم الله الرحمن الرحيم .

أوجه قراءة الاستغاذة مع البسملة عند أول السورة :

١. قطع الجميع : أي قطع الاستعاذة عن البسملة ، والبسملة عن أول السورة .

٢. وصل الجميع : أي وصل الاستعاذة و البسملة وأول السورة .

٣. قطع الاستعاذة ووصل البسملة بأول السورة .

٤. وصل الاستعاذة بالبسملة وقطعها عن أول السورة .

من أحكام البسملة :

أ البسملة ثابتة في أول القرآن لجميع القراء بلا خلاف ، أما بين السورتين فحَفْص أثبتها في جميع القرآن ، وفصل بها بين كل سورتين ، عدا سورة براءة

ب إذا قرأت من أول السورة ، فلابد من قراءة البسملة .

ج وإذا قرأتَ في أثناء السورة ، فَلَكَ أن تقرأها أو تتركها .

د ولا يجوز لك أن تَصِل آخر السورة بالبسملة وتقف عليها ، لأن البسملة لأول السُّوَر ، لا لأواخرها .

أحكام النون الساكنة و التنوين

تعريف النون الساكنة : النون الساكنة هي النون التي لا حركة لها ، وتكون في الاسم ، والفعل ، والحرف .

التنوين : هو نون ساكنة زائدة تلحق أواخر الأسماء لفظاً ووَصْلاً ، وتفارقه خطاً ووقفاً.

وللنون الساكنة والتنوين أربعة أحكام ، هي : (الإظهار _ الإدغام _ الإقلاب _ الإخفاء) .

أولاً : الإظهار : الإظهار لغة : الإيضاح والبيان . الإظهار اصطلاحاً : هو إخراج

كـــل حرف من مخرجه من غير غنّة في الحرف المظهر .وحروفه مجموعة في أوائل هذا البيت : أخي هاك علماً حازه غير خاسرِ.

[أ ـ ه ـ ع ـ ح ـ غ ـ خ] .ويسمى هذا الإظهار إظهاراً حَلْقِياً ، لأن حروفه تخرج من الحَلْق .

أمثلة على إظهار النون الساكنة والتنوين :

الرقم	الحرف	مثاله مع النون الساكنة	مثاله مع التنوين
١	الهمزة	منْ آمن ـ ينْأون .	عذابٌ أليم ـ معتدٍ أثيم .
٢	الهاء	إنْ هذا ـ ينْهون .	سلامٌ هي ـ قومٍ هاد .
٣	العين	منْ عمل ـ الأنْعام .	أجرٌ عظيم ـ حكيمٌ عليم .
٤	الحاء	منْ حكيم ـ تنْحتون	غفورٌ حليم ـ عليماً حكيماً
٥	الغين	منْ غلٍ ـ فسينْغضون	عفوٌّ غفور ـ حديثٍ غيره .
٦	الخاء	منْ خير ـ المنْخنقة .	لطيفٌ خبير ـ يومئذٍ خاشعة

ثانياً : الإدغام :

معـــناه : الإدغـــام لغـــة : الإدخال . وهو اصطلاحاً : إدخال حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً من جنس الثاني .

حروفه : ستة حروف يجمعها لفظ (يرملون) .

أقسامه : ينقسم إلى قسمين :

أ ـ إدغام بغنّة : وحروفه أربعة ، مجموعة في كلمة (ينمو) .

ب ـ إدغام بغير غنّة : وحروفه اثنان (ر ـ ل) .

ثالثاً : الإقلاب :

معناه : الإقلاب لغة : تحويل الشيء عن وجهه . وهو اصطلاحاً : قلب النون الساكنة أو التنوين ميماً مُخْفَاة بغُنة عند الباء.

حرفه : الباء (ب) .

أمثلة : منْ بعد _ سميعاً بصيراً _ أنْبئهم _فانْبجست _ ينْبت _ منْ بخل _ أنْ بورك _ آيات بيّنات _ مَتاعاً بالمعروف _ عليمٌ بذات.

رابعاً : الإخفاء :

معـــناه : الإخفاء لغةً : الستر . وهو اصطلاحاً : هو النطق بالحرف بمرتبة بين الإظهار والإدغام ، مع بقاء الغنّة .

حروفه : خمسة عشر حرفاً مجموعة في أوائل هذا البيت .

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شخصٌ قد سَمَا   دُمْ طَيّباً زِدْ في تُقَىً ضَعْ ظَالِمَاً

أمثلة على الإخفاء:

الرقم	النون		التنوين	
	من كلمة	من كلمتين	ولا يكون إلا من كلمتين	حرف الإخفاء
١	الأنْصار	أنْ صدوكم	ريحاً صرصراً	ص
٢	ءَأَنْذرتهم	أئنْ ذكرتم	سراعاً ذلك	ذ
٣	منْثور	منْ ثمرة	قولاً ثقيلاً	ث
٤	ينْكثون	أنْ كان	كتابٌ كريم	ك
٥	فأنْجينا	ومنْ جاهد	فصبرٌ جميل	ج

٦	منْشور	إنْ شاءَ	بأسٍ شديد	ش
٧	فأنْقذكم	منْ قبْل	سميعٌ قريب	ق
٨	منْسأته	منْ سيئاتكم	رجلاً سلماً	س
٩	أنْداداً	أنْ دَعَوا	كأساً دهاقاً	د
١٠	فانْطلقوا	وإنْ طائفتان	كشجرةٍ طيبة	ط
١١	تنْزيل	منْ زوال	صعيداً زلقاً	ز
١٢	لانْفضوا	منْ فوق	خالداً فيها	ف
١٣	منْتهون	ومَنْ تاب	جناتٍ تجري	ت
١٤	منْضود	ومَنْ ضل	قوماً ضالين	ض
١٥	ينْظرون	مَنْ ظلم	قوماً ظلموا	ظ

أحكام الميم الساكنة

تعريف الميم الساكنة : الميم الساكنة هي الميم التي لا حركةَ لها .

أحكامها : للميم الساكنة ثلاثة أحكام ، هي :

١ـ الإخفاء الشفوي . ٢ ـ إدغام مثلين صغير . ٣ ـ الإظهار الشفوي .

أولاً : الإخفاء الشفوي :

حرفه : الباء (ب) .

القــاعدة : إذا وقعتْ الباء بعد الميم الساكنة تخفى الميم وتصحبه الغنّة . (بمقدار حركتين) . ويسمى هذا الإخفاء إخفاءً شفوياً لخروج الميم والباء من الشفتين .

الأمثلة :

المثال	الحكم	السبب
آمنتمْ بالله	إخفاء شفوي	لوقوع الباء بعد الميم الساكنة
همْ بربهم	إخفاء شفوي	لوقوع الباء بعد الميم الساكنة
إليهمْ بهدية	إخفاء شفوي	لوقوع الباء بعد الميم الساكنة
كنتمْ بآياته	إخفاء شفوي	لوقوع الباء بعد الميم الساكنة
يوم همْ بارزون	إخفاء شفوي	لوقوع الباء بعد الميم الساكنة
عليهمْ بنياناً	إخفاء شفوي	لوقوع الباء بعد الميم الساكنة
ونبلوكمْ بالشر	إخفاء شفوي	لوقوع الباء بعد الميم الساكنة
ترميهمْ بحجارةٍ من سجيل	إخفاء شفوي	لوقوع الباء بعد الميم الساكنة
هذا الذي كنتمْ به تكذبون	إخفاء شفوي	لوقوع الباء بعد الميم الساكنة
إنّ ربهمْ بهمْ يومئذ لخبير	إخفاء شفوي	لوقوع الباء بعد الميم الساكنة

ثانياً : إدغام مثلين صغير :

حرفه : الميم .

القاعدة : إذا وقعت ميم بعد الميم الساكنة وجب إدغام الميم الساكنة في الميم التي تليها ، بحيث تصيران ميماً واحدة مشددة . وهو ما يُسَمّى (إدغام مِثْلَين صغير) ، ويلزم الإتيان بكمال التشديد وإظهار الغُنّة .

الأمثلة :

المثال	الحكم	السبب
بإذن ربهمْ من كل أمر	إدغام مثلين صغير	لوقوع الميم بعد الميم الساكنة
الذي أطعمهمْ من جوع	إدغام مثلين صغير	لوقوع الميم بعد الميم الساكنة
ألا يظن أولئك أنهمْ مبعوثون	إدغام مثلين صغير	لوقوع الميم بعد الميم الساكنة
كنتمْ مؤمنين	إدغام مثلين صغير	لوقوع الميم بعد الميم الساكنة
خلق لكمْ ما في	إدغام مثلين صغير	لوقوع الميم بعد الميم الساكنة

ثالثاً : الإظهار الشفوي :

حروفه : كل حروف الهجاء عدا الميم والباء (م ـ ب) .

القاعدة : إذا وقع بعد الميم الساكنة أيُّ حرف من حروف الهجاء (عدا الباء والميم) وجـب إظهار الميم الساكنة عند القراءة ، ويُسمى هذا الإظهار إظهاراً شفوياً لخروج الميم من الشفتين .

ملاحظة : يجب الحذر من إخفاء الميم مع حرف الواو والفاء ، فإنهما حرفا إظهار .
قال صاحب التحفة :

واحذر لدى واوٍ وفا أن تختفي   لقربهما والاتحاد فاعرفِ

أمثلة : على الإظهار الشفوي :

الرقم	الحرف	المثال	الرقم	الحرف	المثال
١	أ	أيكمْ أحسن	١٣	ض	فراغ عليهمْ ضرباً
٢	ت	وبما كنتمْ تدرسون	١٤	ط	لكمْ طالوت
٣	ث	أمْثالكم	١٥	ظ	وهمْ ظالمون
٤	ج	لهمْ جنات	١٦	ع	وينصركمْ عليهم
٥	ح	في أموالهمْ حق	١٧	غ	فإنكمْ غالبون
٦	خ	أولئك همْ خير البرية	١٨	ف	لهمْ فيها
٧	د	وأنتمْ داخرون	١٩	ق	بأنهمْ قوم
٨	ذ	ربكمْ ذو رحمة	٢٠	ك	مالكمْ كيف تحكمون
٩	ر	لقد جاءكمْ رسول	٢١	ل	أمْ لكم
١٠	ز	منهمْ زهرة	٢٢	ن	إليكمْ نوراً
١١	س	وبنينا فوقكمْ سبعاً	٢٣	ه	أخاهمْ هوداً
١٢	ش	كنتمْ شهداء	٢٤	و	على قلوبهمْ وعلى
١٣	ص	عليهمْ صلوات	٢٥	ي	ومما رزقناهمْ ينفقون

حكم النون والميم المشددتين

يجـــب تشـــديد وغَنّ النون والميم المشددتين بمقدار حركتين ، ويُسَمّى كل منهما حرف غنّة مشدداً .

معنى الغنّة : الغنّة لغةً : الترنم . واصطلاحاً : هو صوت له رنين يخرج من الخيشوم . **مقدارها** : حركتان . والحركة بمقدار قبض الأصبع أو بسطه .

أمثلة على النون والميم المشددتين

النون المشددة	الميم المشددة	الحكم
إنّ	لمّا	وجوب إظهار الغنّة
الجنّة	ثمّ	=
النّاس	عمّ	=
النّاصحين	أمّا	=

المد وأقسامه

معـــناه : المد لغة : هو المطّ والزيادة . والمد اصطلاحاً : هو إطالة زمن الصوت بحرف المدّ عند ملاقاة سبب من أسباب المدّ .

حروف المد : حروف المد ثلاثة ، هي :

الواو الساكنة المضموم ما قبلها   الياء الساكنة المكسور ما قبلها

والألف الساكنة المفتوح ما قبلها

وقد اجتمعت في قول الله تعالى : ((نُوحِيهَا)) وهذه الحروف هي حروف العلة.

أقسام المد : ينقسم المدّ إلى قسمين :

١ – أصلي .

٢– فرعي .

أولاً : المد الأصلي :

المد الأصلي : وهو المد الطبيعي الذي لا تقوم ذات حرف المد إلا به ، وهو الذي لـــيس بعده هَمْز و لا سكون ، وسمي طبيعياً لأن صاحب الطبيعة لا ينقصه عن حَدّه و لا يزيد عليه.

مقداره : حركتان .

حكمه : واجب و نقصه حرام .

أمثلة : قال _ كان _ جنات _ قيل _ يقول _ الغفور _ عزيز _ كثير .

ما يلحق بالمدّ الطبيعي :

(١) مَدّ الصلة الصغرى : هو وقوع هاء الضمير الغائب بين متحركين وما بعدها غير الهمزة عندئذ نصلها بواو إذا كانت مضمومة . ونصلها بياء إذا كانت مكسورة . أمثلة :

١ – ((لهۥ ما في السموات))

٢– ((فتهجد بهِ نافلة لك))

٣– ((إنه كان بهِ بصيراً)) .

٤– ((إنهۥ لقول رسول كريم))

٥– ((و إن كنتم من قبلهِ لمن الضالين))

٦– ((إنهۥ هو البر الرحيم)) .

ويستثنى من ذلك بعض الآيات عند الإمام حفص ، وهي :

١- قوله تعالى : ((و إن تشكروا يرضهُ لكم)) . فقد ضم هاء يرضه بدون صلة.

٢- قولـــه تعالى : ((قالوا أرجهْ و أخاه وابعث في المدائن حاشرين)) .فقد سَكّن هاء أرجه .

٣- قوله تعالى : ((اذهب بكتابي هذا فألقهْ إليهم)) . فقد سكن هاء فألقه .

٤- قولـــه تعالى : ((و يخلد فيهِ مهانا)) فقد وصل الهاء في لفظ فيه ، مع أنها جاءت بين ساكن و متحرك .

حكم مد الصلة الصغرى : واجب. مقدارها : حركتان .

(**٢**) **مـــدّ العِـــوَض** : وهـــو مدّ الألف المعوّض بها عن التنوين المنصوب عند الوقف.

سبب التسمية : لأن الألف عِوَض عن التنوين .

أمثلة :

١- ((وكان الله عليماً حكيماً)) .

٢- ((ألم نجعل الأرض مهاداً و الجبال أوتاداً و خلقناكم أزواجاً)) .

٣- ((فأصبحتم بنعمته إخواناً)) .

حكمه : واجب . **مقداره** : حركتان .

(**٣**) **مد التمكين** : و هو ياءان أولاهما مشددة مكسورة ، وثانيهما ساكنة ، وهي التي تمد . **سبب التسمية** : لأن الشدة تخرجه مُتمكناً .

أمثلة :

١ ((و إذا حيّيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها)) .

٢ ((ويقتلون النبيّين بغير الحق))

٣ ((و إذا أوحيت إلى الحواريّين)) .

٤ ((كلا إن كتاب الأبرار لفي عليّين)) .

حكمه : واجب . **مقداره** : حركتان .

(٤) **مد أَلِفَات حي طهر** : و هي الألفات الواقعة في بداية السور ، وهي : (حا – يا – طا – ها – را) .

أمثلة : الحاء من قوله تعالى: ((حم)) والهاء ، والياء من قوله تعالى : ((كهيعص)) والطاء والهاء من قوله تعالى : ((طه)) والراء من قوله تعالى : ((ألر)) .

حكمه : واجب . **مقداره** : حركتان.

ثانياً : المد الفرعي :

المد الفرعي : و هو المد الزائد عن المد الأصلي بسبب :

أ – الهمز . ب– السكون .

أ – المـــد الذي سببه الهمز : ويشمل : (المد المتصل – المد المنفصل – مد البدل – مد الصلة الكبرى) .

١– المد المتصل (الواجب) : وهو وقوع الهمز بعد حرف المد في كلمة واحدة . و سمي متصلاً لاتصال الهمزة وحرف المد في كلمة واحدة .

أمثلة : (سماء – بناء – ماء – الملائكة – شاء – سوء – سيئت) .

حكمه : واجب . **مقداره** : يُمَدّ أربع أو خمس حركات .

٢– المد المنفصل : هو وقوع حرف المد في آخر الكلمة ، والهمزة في الكلمة التي تليها . وسمي منفصلاً لانفصال الهمزة عن حرف المد .

أمـــثلة : ياأيها – إنا أنزلناه –إني أخاف – قوا أنفسكم – توبوا إلى الله – في أي سورة .

حكمه : جائز ، يجوز قَصْره على حركتين ، ويجوز مَدّه أربع أو خمس حركات .

٣– مد البدل : هو وقوع الهمزة قبل حرف المد في كلمة واحدة .

سبب التسمية : هو إبدال الهمز حرف المد .

مقدار مَدّه : حركتان . **أمثلة** :

الكلمة	أصلها	الكلمة	أصلها
آدم	أأدم	إيمان	إئمان
آزر	أأزر	الأولى	الأؤلى

٤ مد الصلة الكبرى : هو وقوع هاء الغائب بين متحركين ، وبعدها همزة قطع .

مقداره : يجوز قَصْره بمقدار حركتين ، ويجوز مَدّه كالمنفصل أربع أو خمس حركات .

أمثلة : عنده إلا – من علمه إلا – فلا كاشف له إلا هو قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرتَ – إنما أمره إذا أراد شيئاً.

ب – المد الذي سببه السكون: ويشمل :

١ – المد العارض للسكون . ٢ – مَدّ اللين .

٣ – المد اللازم .

١. المد العارض للسكون : وهو وقوع حرق المدّ قبل الحرف الأخير من الكلمة غير الوقف. وسمي عارضاً لأن الحرف الأخير عَرَض له السكون بسبب الوقف .

أمـــثلة : بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله رب العالمين – الرحمن الرحيم – مالك يوم الدين .

حكمه : يجوز فيه القصر والطول والتوسط ، أي: حركتان أو أربع أو ست حركات .

٢. مَدّ اللين : هو مَدّ الواو أو الياء الساكنتين ، المفتوح ما قبلها إذا جاء بعدها سكون عارض لأجل الوقف .

أمثلة : بيت ، وخوف .

حكمه : جائز .

مقداره : يُمَدّ حركتين ، أو أربع ، أو ست حركات .

٣. المد اللازم : هو ما جاء فيه بعد حرف المدّ سكونٌ لازم وَصْلاً ووَقْفاً.

أقسامه : ينقسم المد اللازم إلى قسمين : أ – كلمي . ب – حرفي .

سبب التسمية : **١** – للزوم مَدّه عند جميع القرّاء .

٢ – للزوم السكون في كل الأحوال وَقْفاً ووَصْلاً .

٣ – للزوم مقدار مَدّه حالة واحدة .

أ – المد اللازم الكَلِمي : وينقسم إلى قسمين :

١– كلمي مثقل . ٢ – كلمي مخفف .

١– المد اللازم الكَلِمي المثقّل: وهو أن يأتي بعد حرف المد حرف مُشَدّد في كلمة

أمثلة : (الضالّين – الصاخّة – دابّة – الحاقّة – الطامّة – تأمرونّي – أتحاجّونّي)

حكمه : واجب **مقداره** : ست حركات .

٢ المـــدّ اللازم الكَلِمي المخفف : وهو أن يأتي بعد حرف المدّ حرفٌ ساكن غير مشدد في كلمة .

مثال : آلْآن في موضعين في سورة يونس .

حكمه : واجب **مقداره** : ست حركات .

ب – المد اللازم الحرفي : وينقسم إلى قسمين : ١– مثقل . ٢– مخفف .

١. المد اللازم الحرفي المثقّل : ويكون في الحروف الموجودة في أوائل فواتح السور ، والتي هجاؤها ثلاثة أحرف ، أوسطها حرف مَدّ ، وآخرها حرف ساكن مُدَغم فيما بعده .

حروفه : مجموعة في لفظ " نقص عسلكم " .

أمثلة : ألم – طسم – ألمر – كهيعص .

حكمه : واجب **مقداره** : ست حركات .

٢. المــد الــلازم الحــرفي المخفف : وهو أن يكون هجاء الحرف ثلاثة أحرف : أوسطها حرف ساكن غير مدغم ، مثل : ص (صاد) – ن (نون) – ق (قاف) – ك (كاف) – م (ميم) – ل (لام) في : كهيعص – حم عسق – يس –حم

حكمه : وجوب مَدّهِ ست حركات .

حروف فواتح السور

وهي أربعة عشر حرفاً ، مجموعةً في قوله : (طرق سمعك النصيحة) :

١. **القسم الأول** : ما لا يُمَدّ مطلقاً ، مثل : " الألف ".

٢. **القسم الثاني** : ما يُمَدّ مداً طبيعياً بمقدار حركتين ، مجموعة في كلمة : "حي طهر "

٣. **القســـم الثالث** : ما يُمَدّ ست حركات مداً لازماً ، مجموعةً في قولهم "نقص عسلكم ".

مخارج الحروف

المخـــارج : جمع مخرج ، وهو محل خروج الحرف وتمييزه عن غيره ، وإذا أراد أحد أن يعـــرف مخرج الحرف ، فعليه أن يُسَكّنه بعد همزة الوصل أو يشدد ، فحيث انقطع صوته كان مخرجه مثل : دقْ دقق ، والحروف صوت اعتمد على مخرج محقق أو مقدر.
وعدد مخارج الحروف سبعة عشر ، ومواضعها خمسة :

١- الجوف. **٢- الحلق.** **٣- اللسان.**

٤- الشفتان. **٥- الخيشوم.**

أولاً : **الجوف** : وفيه مخرج واحد ، ويخرج منه حروف المد الثلاثة : الألف والواو والـــياء ، وسميت حروفَ مَدّ ؛ لأنها تخرج بامتداد ولين من غير كلفة لاتساع مخرجها ، ومخرجها جوف الحلق والفم ، وهو الفراغ الداخلي فيه.

ثانياً : **الحلق** : وفيه ثلاثة مخارج :

١- (يعني أبعده مما يلي الصدر) : أ ، ه

٢- وسط الحلق : ع ، ح

٣- أدنى الحلق (أقربه مما يلي الفم) : غ ، خ

ثالثاً : **اللسان** : وفيه عشرة مخارج ب ١٨ حرفاً :

١- ما بين أقصى اللسان مما يلي الحلق : ق

٢- أقصى اللسان تحت مخرج القاف : ك

٣- من وسطه : ج ، ش ، ي غير المدية.

٤- من أول حافته إلى ما يلي الأضراس من الجانبين ، أو من أحدهما : ض

٥- من أول حافته إلى منتهى طرفه : ل

٦- من طرفه تحت مخرج اللام قليلاً : ن

٧- من رأسه : ر

٨- من طرفه وأصل الثنايا العليا : ط ، د ، س

٩- من طرفه فوق الثنايا العليا والسفلى : ص ، ز ، س

١٠- من طرفه وأطراف الثنايا العليا : ظ ، ذ ، ث

رابعاً : الشفتان ، وفيهما مخرجان :

(١) بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا : ف

(٢) الشفتان : ب — م – و

خامساً : **الخيشوم** : وهو خرق الأنف المنجذب الذي داخل الفم ، ويخرج منه أحرف الغنة ، وهى النون الساكنة والتنوين حال إدغامهما بغُنة ، أو إخفائهما ، أو قلبهما والميم والنون المشددتان ، والميم إذا أدغمت في مثلها أو أخفيت عند الباء.

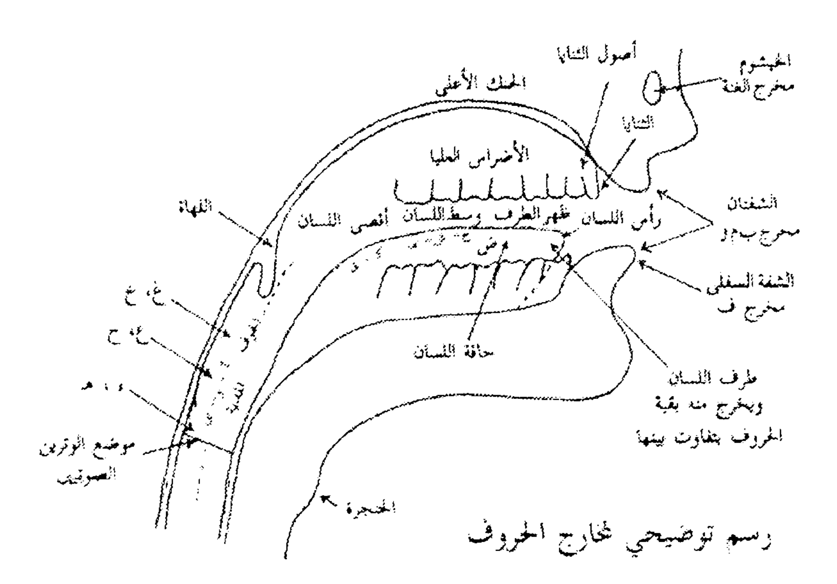
ملاحظة : للإنسان في الغالب اثنان وثلاثون سِنّاً ، وهي:

١- **الثنايا** : هي الأربعة المتقدمة : اثنان فوق ، واثنان تحت.

٢- **الرباعيات** : وهي الأربعة خلف الثنايا.

٣- **الأنياب** : وهي أربعة خلف الرباعيات.

٤- **الأضراس** : وهي عشرون.



رسم توضيحي لمخارج الحروف

صفات الحروف

صفات الحروف هي الكيفيات العارضة لها عند حصولها في مخارجها ، وهي على قسمين :

١- قسم له ضد . **٢** قسم لا ضد له.

أولاً : **الصفات التي لها ضد خمس ، وهي** :

١- الجهر ، وضده الهمس . ٢ - الشدة والتوسط ، وضدها الرخاوة .

٣ - الاستعلاء ، وضده الاستفال . ٤ - الإطباق ، وضده الانفتاح .

٥ - الإذلاق ، وضده الإصمات .

ثانياً : والصفات التي لا ضدّ لها سبع ، وهي :

١- الصفير . ٢ - القلقلة . ٣ - الانحراف.

٤- التكرير. ٥ - اللين. ٦- التفشى.

٧- الاستطالة

الصفات المتضادة

(١) **الهمـــس** : معـــناه لغـــة : الخفـــاء . واصطلاحاً : هو جريان النفَس عند النطق بالحروف، لضعف الاعتماد على المخرج ، وحروفه عشرة ، مجموعة بهذا التركيب (فحثه شخص سكت) .

(٢) **الجهـــر** : معـــناه لغـــة : الإعلان . واصطلاحاً : انحباس جري النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج ، وحروفه هى ما عدا حروف الهمس.

(٣) **الشـــدة** : معـــناها لغة : القوة . واصطلاحاً : انحباس جري الصوت عند النطق بالحـــروف لكمال الاعتماد على المخرج ، وحروفه مجموعة في قولهم : (أجد قط بكت) ، وهناك حروف متوسطة بين الشدة والرخاوة ، وهي خمسة يجمعها قولهم: "لن عمر" ، وإنما وُصِفَت بذلك لأن الصوت لم ينحبس معها انحباسه مع الشديدة، ولم يَجْرِ معها جريانه مع الرخوة .

(٤) **الـــرخاوة** : معـــناه لغة : اللين . واصطلاحاً : جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج ، وحروفها خمسة عشر ، ما عدا حروف الشدة والتوسط.

(٥) **الاســـتعلاء** : معناه لغة : الانخفاض . واصطلاحاً : انحطاط اللسان عند خروج الحرف "الحنك إلى قاع الفم" ، وحروفه واحد وعشرون حرفاً ، وهي غير حروف الاستعلاء .

(٦) **الانطباق** :معناه لغة : الالتصاق . واصطلاحاً: تلصق ما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى ، وهي : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء .

(٧) **الانفـــتاح** : وهـــو عبارة عن الانفتاح ما بين اللسان والحنك وخروج النفَس من بينهما عند النطق بحروفه ، وهي ما عدا الأربعة المطبقة .

(٨) **الذلاقـــة** : مـــن الذلق ، وهو الطرف ، وحروفها ستة ، يجمعها قولك : " فر من لـــب" ، وسُـــميت مذلقة لسرعة النطق بها لخفّتها . والإذلاق لغة : حدة اللسان وطلاقته . واصطلاحاً: الاعتماد على ذلق اللسان والشفة أي طرفيها.

(٩) **الإصـــمات** : من الصمت ، وهو المنع . وحروفه ما عدا المذلقة ، وسميت مصمتة لأنهـــا ممنوعة من انفرادها في كلمة على أربعة أحرف كجعفر ، أو خمسة أحرف كســـفرجل ، لا بـــد مـــن أن يكون فيها مع الحروف المصمتة حرف فأكثر من الحروف المذلقة.

الصفات التي لا ضِدّ لها

(١) الصفير : صوت يشبه صوت الطائرة ، يصحب النطق بأحد حروفه ، وهي ثلاث: الصاد ، والزاي ، والسين .

(٢) القلقلة : وهي عبارة عن تَقَلْقُل المخرج بالحرف عند خروجه ساكناً حتى يسمع له نبرة قوية ، وحروفها خمس . ويجمعها قولك : قطب جد .

(٣) اللين : عبارة عن مَدّ حروف الواو والياء الساكنتين بعد الفتح حالة الوقف مثل : خوف وبيت . مع لين وسهولة وعدم كلفة على اللسان.

(٤) الانحراف : وهو عبارة عن ميل الراء واللام عن مَخْرجيهما إلى طرف اللسان.

(٥) التكرير : وهو عبارة عن قبول الراء للتكرير لارتعاد طرف اللسان عند النطق بها .

اللام في لفظ (الله)

(١) تُفَخّـــم لام الجلالة (الله) إذا تقدمها فتح أو ضم ، مثل : (قال الله ، لما قام عبد الله) ، أو ســـاكن بعد ضم ، نحو : (قالوا اللهم) . أو ساكن بعد الفتح نحو : (

وإلى الله). وســـبب هذا التفخيم قصد التعظيم لهذا الاسم ، ولأن موجب الترقيق معدوم ، والفتحة والضمة يستعليان في الحنك ، والاستعلاء خفيف.

(٢) تُــرَقّق إذا تقدمتها كسرة ، نحو : (بالله ، قل اللهم ، من دين الله) أو ساكن بعد مكســـور مثل : (وينجي الله) ، أو تنوين (قوماً الله) ، إذ اللفظ يكون هكذا : قومن الله ، وسبب هذا الترقيق كراهية التصعيد بعد التسفل واستثقاله.

لام الفعــل : تظهــر وجوباً عند جميع الحروف غير اللام والراء ، مثل : جعلنا ، أرســلنا ، قلنا ، فالتقى الماء على أمر قد قُدِر . وتُدْغَم وجوباً عند اللام والراء ، مثل (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً ، وقل رب زدني علماً) .

تنبــيه : أحكام لام الفعل والحرف والاسم : حكمها جميعاً الإظهار ، سواء كان الفعل : ماضياً ، أو مضارعاً ، أو أمراً ، ما لم يقع بعدها لام ، أو راء فَتُدْغم .

اللام القمرية واللام الشمسية

(١) اللام القمرية : يجب إظهار اللام إذا وقعتْ قبل أربعة عشر حرفاً ، وهي المجموعة بهذا التركيب : (ابغ حجك وخف عقيمه) (أ ، ب ، غ ، ح ، ج ، ك ، و ، خ ، ف ، ع ، ق ، ي ، م ، ه) .

أمــثلة : الأول ، البر ، الغني ، الحكيم ، الجنة ، الكبير ، الودود ، الخبير ، الفتاح العليم ، القيوم ، اليقين ، الملك ، الهادي .

وتُسَمّى هذه اللام : باللام القمرية ، تشبيهاً لها بلام القمر بجامع الظهور في كل.

(٢) اللام الشمسية : يجب إدغامها بلا غنة بالحرف الذي بعدها ، إذا كان واحداً من أربعة عشر حرفاً ، مجموعة في أوائل كلمات هذا البيت :

طب ثم صل رحما تفز ضف ذا نعم   دع سوء ظن زر شريفاً للكرم

(ط . ث . ص . ر . ت . ض . ذ . ن . د . س . ظ . ز . ش . ل)

أمـــثلة : الطامة ، الثواب ، الصادقين ، الراكعين ، التوابين ، الضالين ، الذاكرين الناصحين ، الدين ، السائحون ، الظالمين ، الزجاجة ، الشاكرين ، النهار .

وسميت شمسية تشبيهاً لها بلام الشمس بجامع الإدغام في كل.

كيفية الإدغام : أن تجعل اللام من جنس الحرف المدغم فيه ، فتجعل اللام في نحو : (والشمس) شيناً ، وفي نحو : (النار) نوناً .. وهكذا .

إدغام المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين

إذا اجـــتمع حـــرفان ، أولهما : ساكن ، والثاني : متحرك . يُدْغَم الأول في الثاني ويصيران حرفاً واحداً من الجنس الثاني ، وذلك بأحد أسباب ثلاثة :

الأول : التماثل : وهو أن يتفق الحرفان صفةً ومخرجاً ، نحو : قد دخلوا ، اضرب بعصـــاك ، يكـــرهن ، بل لا يخافون . وإذا كان الحرف الساكن هاء سُكّنت ، وجاء بعدهـــا هـــاء نحـــو : ماليه هلك ، جاز الإدغام والإظهار ، والإظهار أرجح ، وكيفية الإظهار أن يوقف على ماليه وقفة لطيفة من غير قطع النفس .

الـــثاني : الـــتجانس:المتجانسان هما أن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة وذلك في خمسة مواضع بثلاثة مخارج :

(١) مخرج الطاء والتاء والدال ، ويجب الإدغام في موضعين :

أ – الدال في التاء نحو : (قد تبين ، مهدت ، لقد تقطع ، عبدت) .

ب – التاء في الدال والطاء نحو: (أثقلت دعوا ، أجيبت دعوتكما ، همت طائفة).

(٢) مخرج الظاء والذال والثاء ، ويجب الإدغام في موضعين :

أ – الذال في الظاء : نحو (إذا ظلمتم) .

ب - الثاء في الذال : نحو (يلهث ذلك) .

(٣) مخرج الميم والباء : وذلك في موضع واحد ، وهو الباء في الميم نحو : (اركب معنا) .

الثالث : التقارب : وهو أن يتقارب الحرفان مَخْرَجاً وصفة ، وذلك يكون بمخرجين :

(١) مخرج اللام والراء نحو : (قل رب ، بل رفعه) .

(٢) مخرج القاف والكاف نحو : (ألم نخلقكم) ، ومعنى التقارب في الصفة هو أن يتفق الحرفان في أكثر الصفات .

أحكام الراء

للراء أحوال ثلاثة : التفخيم ، والترقيق ، وجواز الوجهين.

أولاً : التفخيم : تفخيم الراء في المواضع الآتية :

١ - إذا كانت مضمومة مثل : عشرون .

٢ - إذا كانت مفتوحة مثل : سراجاً .

٣ - إذا كانت ساكنة بعد ضم مثل : غرفة.

٤ - إذا كانت ساكنة بعد فتح مثل : قرية

٥ - إذا كانت ساكنة بعد كسر عارض : أم ارتابوا ، ارجعوا .

٦ - إذا كانت ساكنة بعد كسر أصلي ، وأتى بعدها حرفُ استعلاء نحو (مرصاداً ، قرطاس) وحروف الاستعلاء هى : (خص ضغط قظ)

٧ - إذا سكنت للوقف بعد سكون غير الياء ، وكان قبل الساكن فتح أو ضم مثل : القدر ، الأمور .

ثانياً : الترقيق : تُرَقّق الراء في المواضع التالية :

١ إذا كانت مكسورة ، مثل : والغارمين، رزقاً.

٢ إذا كانت ساكنة بعد كسر أصلي ، مثل : شرعة ، فردوس .

٣ إذا كانت ساكنة بعد ياء ساكنة ، نحو : خبير ، خير .

ثالثاً : جواز التفخيم والترقيق فيما يلي :

١- إذا كانت ساكنة وما قبلها كسر أصلي وبعدها حرف استعلاء مكسور ، نحو : كل فرق. فمَن فَخّمها نظر إلى مجرد وقوع حرف الاستعلاء بعدها وقوته ، ومن رققها نظر إلى كونه مكسوراً ، والكسر أضعف تفخيمه.

٢- إذا سكنت في آخر الكلمة ، وكان ما قبلها حرف استعلاء ساكن ، وقبل هذا الحرف ساكن مثل : مصر ، القطر ، والاختيار في راء القطر الترقيق وفي راء مصر التفخيم .

الألفات التي تُثبت وقفاً وتُحذف وَصْلاً

تثبت الألف الواقعة في هذه الكلمات التالية في الوقف ، وتحذف لفظاً في الوصل:

١- ألف : أنا ضمير المتكلم في جميع القرآن ، مثل : (أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً) (الكهف ٣٤).

٢- ألف (لكنّا) من قوله تعالى : (لكنا هو الله ربي) (الكهف ٣٨).

٣- ألف الظنونا من : (وتظنون بالله الظنونا) (الأحزاب ١٠).

٤- ألف الرسولا من : (وأطعنا الرسولا) (الأحزاب ٦٦).

٥- ألف السبيلا من : (فأضلونا السبيلا) (الأحزاب ٦٧).

٦- ألف قواريرا من : (كانت قواريرا) (الإنسان ١٥).

٧- ألـــف سلاسلا من : (إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا) (الإنسان ٤). ويجوز في (سلاســـلا) فقـــط الوجهـــان في الوقـــف الحذف والإثبات : (سلاسل) أو (سلاسلا) .

٨- لنسفعا في قوله تعالى : (لنسفعاً بالناصية) (العلق ١٥).

٩- لفظ إذاً المنَوّن نحو : (وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً) (الإسراء ٧٦).

١٠- المنون المنصوب نحو : (اهبطوا مصراً) ، (عليماً حكيماً)



الفهرس